مغامرات أرسين لوبين



السجين

اقســـــم الأول

تاجـر الجـواهر المسروقة

الفصـــــل الأول

دخل جان أونيه حانوت جوهرى فى شارع شانزليزيه وتغاضى عن أن يدفع ثمن ما أخذ !

وكان دخوله الى الحانوت من فجوة فى السقف أحدثها فى أرضية المسكن الذى يقـع فـوق الحانوت مباشرة اذ استأجره فترة وجيزة من الوقت .

كانت العملية بديعة متقنة لأن جان خبير فى مثل هـذه (الضربات) ولكن شخصيته كانت مطبوعة على فعلتـــه تنادى وتصرخ بأن جان هـو السارق .. فلم تمض أربـع وعشرون ساعة حتى كان مسوقا الى السجن .

وقد اقتيد الى مخفر بوليس الشانزلييه وقام باستجوابه مفتش المخفـــر .

وكانت الورطة الشائكة تنحصر فى جـان أورنيـه كان يحمل عند القبض عليه الشطر الأكبر من الغنيمة ... كان فى جيبه صندوق صغير من الورق المقوى أودعت فيه الاحجار الكريمة المسروقة بعد نزعها من الحلى التى كانت مركبةعليها .

وكان الصندوق ملفوفا بالورق مشدودا بالخيط . ولم ينقصه الا أن يكتب عليه العنوان .

ومن أجل معرفة هذا العنوان كان المفتش ظريفا مترفقا الى الغاية القصوى .

وقال المفتش فى صوت عطوف :

— كان فى نيتك طبعا يا جان ان ترسل هذه المسروقات الى (المروج الكبير) ؟ اليس كذلك .؟

فأجابه جان فى لهجة لية :

— لا ادرى عما تتحدث يا سيدى المفتش .. انى لا أعرف ان هذه الجواهر مسروقة .. كل ما هناك انى عثرت عليها ملقاة فى الطريق فالتقطتها . وكان فى نيتى ان أرسلها الى مكتب الاشياء المفقودة .

ولكن المفتش استمر رقيقا عطوفا على رغم هذا الانكار وقال وهو ينظر فى مفكرة موضوعة على مكتبه :

— لقد حوكمت من قبل ست مرات فاذا اردتنا ان نشتد فى معاملتك ذكرنا للقضاء تاريخك القديم ولم تكن هناك مندوحة من نفيك الى جزيرة الشيطان . واذا قدر لك ان تخرج منها حيا لبثت ثلاثة اعوام تحت المراقبة . ولكن فى وسعنا ان ننسى هذه الحادثة بالذات فنخلى سبيلك دون أن نقدمك للمحاكمة ولست ابغى منك لقاء هذا الا كلمة واحدة هى أن تصارحنى بالعنوان الذى كنت تنوى أن تكتبه على الطرد .

وفكر جان اونيه برهة فيما سمع .

ان الشرف موجود بين اللصوص .. ولكن للشرف فى كل مكان معنى مطاطا .. وجزيرة الشيطان بحرارتها المملكة يمكن ان (تمط) الشرف الى اقصى حدود .

وتكلم جان أونيه فى استسلام قائلا :

وكان من الممكن أن تنتهى الحكاية عند هذا الحد لو ان

كاتب الاختزال كان موجودا . فما على المفتش الا ان يضغط زر الجرس فاذا جاء الكاتب التقط بسرعة البرق كل كلمة تخرج من بين شفتى أونيه .

ولكن كاتب الاختزال كان قد غادر المخفر ليتناول طعام الغداء .. وكان المفتش نفسه جائعا فارجأ الاستجواب الى ما بعد تناول الطعام .

وغادر المفتش المخفر بعد ان أمر بان يقدم الى جان أونيه كل ما يشتهى من الوان الطعام على حساب ادارة السجن ذاكرا لمعاونيه انه سيعود فى الساعة الثانية بعد الظهر ليسمع الاستجواب الخطير .

وجىء بالطعام للسجن من مطعم مجاور حملته اليه فتاة رشيقة ذات ابتسامة ظريفة جذابة .

ودخلت الفتاة بالطعام الى غرفة الشرطى المراقب فوضعته على الطاولة وسمعت الكلمات التى همس بها الشرطى مغازلا لها وابتسمت ثم غادرت المكان والشرطى يشيعها حتى الباب الخارجى اذ كانت لاتزال لديه بضع مغازلات يجب ان ينفس بها عن صدره .

ثم جاء السجان فحمل الطعام الى السجين .

وكان السجان هو آخر من رأى أونيه على قيد الحياة واستردت الفتاة صحاف الطعام فارغة ورجعت بها الى المطعم دون أن يحاول احد استجوابها او توجيه اى سؤال اليها

وكان الاشخاص الوحيدون الموجودون فى غرفة المراقبة عندما جاءت فتاة المطعم تحمل الطعام ثلاثة وهم : الشرطى المراقب والسجان والمفتش بروكيه .. ومع ذلك فقد استطاع شخص مجهول فى خلال الرحلة القصيرة التى قطعتها صينية

الطعام ان يدس فى اللحم المشوى كمية من الزرنيخ تكفى للقضاء على فرقة من الجنود .. وكان جان أونيه نهما يحب اللحم المشوى فالتهمه فى سرعة البرق .. والتهم معه الزرنيخ

وكانت هذه الجريمة حديث الناس الصحف فى خلال تسعة ايام كاملة .. فما تقرأ صحيفة ما الا طالعتك فى صدرها العناوين الضخمة المثيرة عن جريمة ارتكبت داخل السجن .. بل فقد بلغ من شدة الاهتمام بالحادث ان صحا بعض أعضا البرلمان من النوم ووجهوا للحكومة طائفة من الاسئلة عن هذه الجريمة .

ولكن كل هذا التساؤل .. وكل هذه الابحاث ذهبت ادراج الرياح ولم تغن شيئا .

ويظهر ان ادارة الأمن العام متعودة على هذه النتائج الخائبة لأن المفتش بيشو كان لا يزال هادئا مستغرقا فى النوم على رغم الحملات التى انهالت على رجال البوليس بسبب عجزهم عن جلاء غوامض هذا الحادث كأن رجال البوليس الذين تندد بهم الصحف قوم يعيشون فى مملكة اخرى ولا شأن لهم بالمفتش بيشو .

وبعد ستة اسابيع من هذا الحادث تحرك لص آخر يدعى فرانسوا فوشيه فسرق من المجوهرات ما قدرت قيمته بمائة وعشرين الفا من الفرنكات .

وكان فرانسوا فوشيه يمتاز بابتسامة ظاهرة . تجعل من يراه يقسم بانه امام قديس تنزه عن الشبهات . فلم يكن اسرع من رجال الاعمال وثوقا به وركونا اليه . وكان يمتاز فضلا عن ذلك ، بثياب أنيقة والمام تام باللغة الانجليزية اذ عاش فى أمريكا بضع سنوات فحذق اللهجة

الأمريكية المعروفة .. وكان يمتاز ايضا بكمية كبيرة من البطاقات الخاصة بمختلف شركات السياحة فاذا ما الصقها على حقيبة ظن من رآها انه رجل رحالة حاسر من اقصى المعمورة .

وبهذه المميزات نزل فرانسوا فوشيه فى فندق رويال وفى رفقته صديقته التى يدعى فى بعض الاحيان أنها زوجته او ابنة عمه او امه حسب الأحوال وطلبا للظروف .

وفى هذه المرة ادعى أن صديقته هى زوجته . وانهما عروسان هبطا فرنسا ليقضيا شهر العسل فى بلاد الغرام والاحلام ، وامضى العروسان بضعة أيام وهما يطوفان بباريس ويترددان على المسارح ولا يعودان الى الفندق الا قبيل الفجر بساعة او ساعتين .

وكان رجال الفندق كلما رأوهما تهامسوا قائلين :

ـ ما اسعدهما .. !

فيجيبهم بعض زملائهم :

ـ لا عجب . انهما فى شهر العسل .. !

ولكن يظهر ان شهور العسل كغيرها من الشهور تعكر صفوها الامراض ..

فى ذات صباح نزل فوشيه وحده من غرفته واقترب من كاتب الفندق وقال له :

ـ ان زوجتى اليوم مصابة بالصداع . واغلب ظنى ان الضجر قد ادركها ، ولعلها تحن الى العودة الى الوطن .

ثم ضحك وقال :

ـ ماذا تفعل اذا استولى الضجر على زوجتك ؟

فقال الكاتب فى ارتباك اذ لم يكن مما يدخل فى نطاق

عمله ان يجيب على مثل هذه الاسئلة :

ــ لست ادرى . لكنى اظن ان خير وسيلة لاخـــراج الزوجة من ضجرها هى محاولة تسليتها وصرفهـــا عن خواطرها .

فقال فرانسوا فوشيه مؤيدا :

ــ هذا صحيح . العلاج الوحيد للضجر ان تصرفها عن خواطرها . على الزوج فى مثل هذه الحالات ان يشـــغل زوجته بشىء ما . قبعة جديدة . معطف جديد . ســـوار جديد .

وكانما هبط عليه الالهام فجأة فصاح قائلا :

ــ نعم . سوار جديد .! هذا هو الشىء الوحيد الكفيل بازالة ضجرها . نعم سوار جديد . خبرنى . ما هو اكبر متجر فى مدينتكم لبيع الجواهر ؟

ففكر الكاتب هنيهة ثم قال :

ــ بوديه .. فى شارع لافاييت .

فاشرق وجه فوشيه وقال :

اتصل بهم تليفونيا من فضـــلك واطـــلب اليهم ان يحضروا مجموعة من السوارات الماسية .. فاذا ما جـــاء الرجل فارسله مباشرة الى مخدع زوجتى لتنتقى مايروقها . وانى موقن من ان هذا السوار هو الوسيلة الوحيدة لتبديد ســـآمتها .

وكانت ادارة الفندق مغتبطة اذ اتيحت لها فرصة تسدى فيها خدمة لهذا النزيل الامريكى الذى كان ينثر الذهب نثرا والذى كانت حقائبه الضخمة وملابسه الانيقة اكبر دليـــل على جاه وسعة ثروته .. وكان مسيو بوديه مغتبطا للصفقة

التى كان يعتقد انه سيعقدها بعد قليل . اذ ان ادارة الفندق شهدت عن نزيلها بما ظن معه تاجر الجواهر ان مستر جيمس فاسون (وهذا هو الاسم الذى يتسمى به) هو مستر فورد متنكرا . ولهذا اسرع من فوره الى الفندق يحمل معـــه مجموعة من السوارات الماسية .

وبعد برهة قصيرة انتقت مسز فاسون اغلى وانفس سوار فيما عرض عليها . ولكن ثمنه تافها لا يزيد الا قليلا على خمسة وعشرين الفا من الفرنكات . واستدعى مستر فاسون احد خدم الفدق واعطاه شيكا وامره بان يسرع الى البنـــك لصرف قيمتـــــه .

وقال فرانسوا فوشيه مخاطبا التاجر :

ــ الا تتناول قدحا من الخمر ريثما يحضر الخـــادم بالنقـــود ؟

وكان مسيو بوديه يعلم ان من السماجة وقلة الذوق ان يرفض الكاس التى قدمها اليه هذا المليونير الامريكى .

وافرغ مسيو بوديه الكاس فى جوفه .. ومرت به ساعة كاملة لم يذكر شيئا مما حدث فى خلالها . وفى اثناء هذه الساعة كان مستر فاسون وزوجته قد غادرا الفندق الى غير رجعة ومعهما مجموعة السوارات الماسية باكملها . وكانت الصدمة الثانية التى اصابت مسيو بوديه معرفته بان ليس فى البنك حساب باسم جيمس فاسون .

وكان هذا الحادث سببا فى اجتماع سريع عقد فى مكتب مدير الامن العام حضره اثنان من رجاله احدهما مسيو بيشو كبير مفتشى البوليس والثانى مسيو بروكيه المفتش الشاب.

وبعد حوار قصير لخص المفتش بيشو رأيه فى هـــذه الـــكلمات .

— من المؤكد ان هذا الأمريكى جيمس فاسون ليس الا المحتال الشهير فرانسو فوشيه . ولدى نظرية صغيرة احب ان أعرضها عليكما وهى ان فوشيه واونيه صديقان قديمان . فاذا كان أونيه يتخذ المروج الكبير اداة لتصريف مسروقاته فان من المحتمل جدا أن يكون المروج الكبير هو نفسه الذى يتولى تصريف مسروقات فوشيه .. وانى اعرف المسكن الذى يقيم فيه فوشيه واطلب تصريحا بالاتصال به ومحاولة انتزاع اعتراف منه بصفة غير رسمية .

فقال مدير الأمن العام متسائلا :

— ولماذا لا تقبض عليه وتستجوبه بالطريقة العادية ؟

فقال بيشو فى صوت خافت كأنما يخاطب نفسه :

— اذا قبضنا عليه ذهبنا به الى مخفر الشانزلييه .. وهناك سيقتل ولست اريد ان يقتل ..!

واحمر وجه المفتش بروكيه عند سماعه هذا القول اذ ان مخفر الشانزلييه يقع فى دائرة اختصاصه ففى كلام بيشو تعريض واضح به وبكفاءته .

وكان المفتش ماريل بروكيه فى مقتبل العمر لا يتعدى سنة الثلاثين ومن تلك الفئة من رجال البوليس التى تسمى نفسها المدرسة الحديثة . قد تخرج أفرادها على يد الكونت ترينيه الذى كان يعتقد أن البوليس السرى كرجل فنى ينبغى أن يدرس مهنته على الاوضاع الفنية الحديثة معتمد على النظريات والابحاث العلمية . وان مهنة البوليس السرى كالطب او الهندسة او التجارة مهنة لها أصولها وقواعدها .

وان الطبقة من رجال البوليس السرى يجب أن تمحى وتنسف نسفا ليحل محلها اولئك الشبان المثقفون .

وكان المفتش بيشو على العكس من ذلك من تلك الطبقة العتيقة التى يدعو بروكيه الى هدمها ونسفها .. فكان طبيعيا ان يدور الخلاف بين الرجلين وان يغتنم كل منهما الفرصة للتعريض بصاحبه وغمزه .

والتفت مدير ادارة الأمن العام الى المفتش بروكيه وقال :

— ما رايك فى هذا الاعتراض يا بروكيه ..؟

فهز بروكيه كتفيه فى استخفاف وقال :

— انه فى رايى اعتراض لا أهمية له .. اننى اعتقد ان فرانسوا فوشيه لن يتكلم سواء بصفه رسمية او غير رسمية لأن مصرع جان اونيه لابد ان يكون قد القى الرعب فى قلبـــه .

فقال بيشو معارضـــا :

— هل يعرف فرنسوا فوشيه ان اونيه قتل لأنه اراد ان يشى بالمروج الكبير ..؟

وكان بيشو على حق فى اعتراضه لأن ادارة الأمن العام حبست على الصحف تفاصيل الحادث الخفية واكتفت بأن تذكر ان فوشيه قتل دون أن تعمد الى ايضاح السبب .

ولكن المفتش بروكيه لم يعدم جوابا اذ قال :

— لست اقول بأن فوشيه يعرف أكثر مما يعرف؛ قرا الصحف . ولكن لو ان المفتش بيشو عرف ما يتردد فى اوساط اللصوص والمجرمين العرف انهم يقولون أن اونيه انما قتل لأنه كان ينوى ان يصبح مرشدا .

فقال بيشو فى تهكم :

— يظهر يا عزيزى بروكيه انك تمضى وقتك فى اوساط اللصوص والمجرمين ملتذا بالاصغاء الى حديثهم ..!

وهم بيشو بان يمضى فى هذا التريض لولا ان نقر المدير على المكتب باصبعه فعدل لهجته وقال :

وعلى اية حال فهذا سبب اخر يدعونى الى عـــدم ارساله الى مخفر الشانزليزيه .. سازوره بصفة غير رسمية واحاول ان اقنعه بانه ان اعترف فلن يعلم احد بانه هـو صاحب الاعتراف لان الامر سيظل سرا بيننا .

واخذ الرجال الثلاثة يتداولون فى هذه الخطة برهة من الوقت واخيرا اذن المدير لبيشو بان يقوم بهذا الاستجواب الغير الرسمى وقال له :

— ويحسن بك ان تصطحب معك المفتش بروكيـــه فقد ينفعـــك .

فقال بيشو وهو يبتسم :

— بودى ان افعل ذلك يا سيدى .. ولكننى اخشى ان لا يكون فى الوقت متسع لكى يذهب المفتش بروكيـه الى داره ليبدل ثيابه .

— ونهض بروكيه واقفا وعقد ازرة جـاكتته .. وكان واضحا انه شديد التانق فى ثيابه وان له ذوقا خاصا فى اختيار بذلته يحمله على تفصيل الالوان الزاهية الملفتـة للانظار على عكس المفتش بيشو الذى لا يرتدى الا ما كان قاتما مغبرا .

ونظر بروكيه الى بيشو فى استخفاف وقال :

— وهل تقضى لوائح البوليس على الشرطى ان يرتـدى اسمالا بالية ؟!

فاحمر وجه المفتش بيشو غضبا وقال :

— وهل تعتقد ان بذلتى هذه اسمال بالية ..؟

فلم يجب بروكيه على هذا السؤال ولكنه ابتسم ابتسامة معناها ان هذا هو اعتقاده ..!

وللمرة الثانية نقر المدير على المكتب باصبعه :

وهكذا غادر الرجلان ادارة الامن العام . احدهما باسم الثغر مشرق الوجه والآخر عابسا متجهما .

وكان تذمر بيشو راجعا الى سببين : اولهما انه يحنق بروكيه ويمقت ان يشركه معه فى عمل من اعماله.. وثانيهما انه يعتقد ان المروج الكبير هو ميدانه الخاص وليس لاحد سواه ان يقحم نفسه فى هذا البحث . فلو كان ضروريا ان البلهاء الذين لا يفتحون فمهم الا للتامين على اقواله . اما ان يختار له المدير شرطيا من رجال المدرسة الحديثة فامر لا يطاق . وكلهم جماعة يعتقدون ان خبرة ثلاثين سـنة لا تساوى شيئا مذكورا وان دراسة ثلاثة ايام فى مدرسة الكونت ترينيه خير الف مرة من هذه الخبرة الطويلة ..

ولذلك كان اول فى فعله بيشو وهو يطرق باب فرانسـوا فوشيه ان التفت الى المفتش بروكيه قائلا :

— عليك ان تلزم الصمت ودعنى استجوب فوشـيه بطريقتى الخاصة .. ان لى طريقة ساعرف بها كيف انتزع لكلام من فوشـيه .

فاصلح بروكيه رباط رقبته وقال وهو يتثاءب .

— كما انتزعت بها الكلام من ارسين لوبين ..!

وعض بيشو على شفتيه غيظا وحنقا اذ لم يكن يطيـق

ان يذكره احد بأرسين لوبين وبالهزائم التى نالها على يدى ارسين لوبين ..!

كان لوبين شوكة فى حلقه .. كان شيطانا مريدا لايعرف بيشو كيف يتخلص منه فلو انه لم يكن موجودا على قيد الحياة لما كان بيشو هدفا لحملات الصحف والبرلمان ..
ولما كان موضع التهكم والازدراء من زملائه ورؤسائه ، كم من مرة حاول ان يقبض فيها على لوبين فاخفق .. وكم من مرة كان يعرف فيها ان لوبين هو الجانى ولكن يعوزه الدليل .. وكم من مرة ..

كم من مرة تمنى لو ان بروكيه هو الذى يتولى مطاردة لوبين حتى يشهد فشله ويضحك عليه ملء شدقيه كما يضحكون .

وحين لبى فرانسوا فوشيه رنين الجرس وفتح الباب حملق فى المفتش بيشو مذهولا وحاول ان يوصد الباب فى وجهه ولكن بيشو دفع قدمه بين الضلفة والجدار وهو يقول :

— انى ما جئت لاقبض عليك فلا تثر ضجة لاداعى لها .

وعندما جلسوا فى قاعة الاستقبال نفض فرانسوا فوشية رماد سيجارته وقال وهو يتظاهر بالثبات :

— وما الداعى لهذه الزيارة يا مسيو بيشو ؟

فقال بيشو فى برود :

— ان الداعى يتوقف عليك انت . فقد يكون بسبب سوارات ماسية سرقت من بوديه . وقد يكون الداعى سببا آخر .

فرفع فوشيه حاجبيه دهشة وقال : لست ادرى عما

تتكلم يامسيو بيشو .

فقال بيشو وهو يتثائب كانما ينوى ان ينام .

— هل تستطيع ان تفهمنى اذا قلت لك ان بوديه تعرف على صورتك عندما عرضت عليه ..؟
وان نصف الفندق على استعداد لتأييده ؟

ولبث فوشيه صامتا اذ لم يكن لديه ما يفند به هذا الدليل .

واسترسل بيشو وهو لا يزال يتثاءب :

— ومع ذلك فانى على استعداد لان انسى هذا الحادث الا اذا اردت انت ان تذكرنى به .. لقد جئت لاتبادل معك حديثا قصيرا .. وفى وسعنا ان نتبادل هذا الحديث هنا. بين جدران هذه الغرفة .. دون ان يعلم احد بما جرى بيننا .. وبعد ذلك سيصبح هذا الحديث نسيا منسيا . فما رايك ؟

وكانت الابتسامة التى اشتهر بها فرانسوا فوشيه قد غاضت من وجهه وارتسمت فى عينيه امارات القلق والانزعاج .. كان يعلم انه واقع فى ورطة حرجة وان لا سبيل له الى الفرار .. لو ان بيشو وصل بعد نصف ساعة لما وجد له اثرا ولألفاه قد غادر فرنسا الى سويسرا .

اما الآن فما العمل ..؟

— انك يامسيو بيشو صديق قديم .. فالحديث معك يلذ لى .. فماذا تريد ؟

— اكنت تنوى ان تبيع المسروقات الى المروج الكبير ؟

فأخذ فوشيه نفسا طويلا من سيجارته ثم قال معجبا فى حذر :

– اظننى قد سمعت بهذا الاسم من قبل .

وعلى الرغم من أن المفتش بيشو كان لا يزال يتثاءب متظاهرا بقلة الاكتراث الا انه كان قد اخذ الغرفة ومحتوياتها بنظرة شاملة سريعة فراى فى ركن منها قطعة من الورق الورق الاسمر الذى يستعمل للف الطرود والى جانبه قطعة من الخيط ..

وقال بيشو :

– اذن فقد تخلصت من سوارات بوديه البس كذلك .؟ كل ما ابغيه منك هو أن تذكر لى العنوان الذى ارسلت اليه الطرد ..

واخذ فوشيه نفسا اخر من سيجارته حتى توهج طرفها ثم قال فى كلمات بطيئة :

– نعم لقد ارسلت طردا صغيرا منذ برهة قصيرة .. وكان معنونا الى ..

ولكنه لم يقل الى اى مكان كان الطرد معنونا .

سمع المفتش بيشو دوى الطلق النارى خلفه .. ورأى فرانسوا فوشيه يرفع يده الى راسه ثم يترنح ويسقط على الأرض .. وفى نفس اللحظة سمع بيشو صوت الباب وهو يصطفق خلفه فدار على عقبيه وهو لا يكاد يصدق ما سمعت اذناه .

وكان المفتش بروكيه واقفا على مقربه من الباب فكان أسرع من رئيسه ففتحه وانطلق الى الخارج وفى اثره بيشو فاخذا يهبطان الدرج مسرعين .. وحين بلغا الباب الخارجى وجداه مغلقا ففتحاه وخرجا الى الشارع يبحثان عن المعتدى الجرىء فانطلق بيشو الى اليمين ومضى بروكيه الى اليسار .

كان الطريق يكاد يكون خاليا من المارة .. كانت هناك مراة عجوز محدوبة الظهر تمشى الهوينى . وكان هناك غلام ينادى على ما يحمل من صحف .. وكانت هناك فتاة

– ماذا تقول انى لم أتزوج مطلقا .

فتركها دون أن يلح فى السؤال اذ راى على عينيها نظارة فعرف ان عمرها لا يقل عن صممها .

ولما وجه نفس السؤال الى العاشقين لم يسمع جوابا اذ كانا منهمكين فى قبلة طويلة .

اما بائع الصحف فأنباه بانه لم ير احدا .

والتفت بيشو الى المفتش بروكيه قائلا :

– الم تره انت ؟

فقال بروكيه فى ياس :

– لم ار الا ظهره وانا اهبط السلم .. ولكنه بلغ الباب الخارجى وأوصده فلما صرت فى الطريق لم أدر الوجهة التى اتخذها .

وتنهد بيشو فى قنوط وقال :

– فلنصعد الى المسكن لنرى ما حدث .

ولكنه كان يعرف ما حدث حتى قبل ان يصعد .

كان يعرف أن فرانسو فوشيه قتل لانه اراد أن يتكلم كما قتل جان اونيه من قبل .

ولكن هذه الجريمة الجديدة ستجعله هدفا صالحا لحملات

الصحف ولتعنيف رؤسائه .. اذ كيف يقتل فوشيه بين سمعه وبصره دون ان يملك حمايته او على الاقل دون ان يقبض على القاتل قبل ان يتمكن من الفرار .

على ان الشيء الذى كان يضايقه بنوع خاص هو معرفته بأن ماريل بروكيه سيكون اول من يضحك عليه ويهزأ به .. فصعد الدرج وهو يتميز غضبا وغيظا .

ولكنه لم يكد يدخل القاعة حتى تسمر فى مكانه مذهولا وقد جحظت عيناه فلو أن شخصا رآه فى هذه اللحظة لاعتقد على الفور أن المفتش بيشو أصيب بلوثة اختل فيها عقله .



الفصل الثانى

لم تكن جثة فرانسوا فوشيه موجودة فى الغرفة .!

وكانت هـذه هذه الحقيقة الصارخة المذهلة التى كان على المفتش بيشو ان يستوعبها .!

وبعبارة اخرى ان المفتش بيشو لم يكن يستطيع ان يقول ان الجثة اختفت . وانما كان فى وسعه ان يقول انه لا يرى جثة فى الغرفة وذلك انه كان فى عده اللحظة المفاجئة المحيرة يعتقد ان فرانسوا فوشيه لم يكن من قبل موجودا فى

القاعة .. وانه لم يستجوبه .. وانه لم يسمع دوى الطلق النارى .

كان فى ذهوله ينكر جميع ما حدث .. كان ينكر ما رسخ فى سمعه وما وقع عليه بصره .. كان اهون عليه ان ينكر وجود فرانسوا فوشيه على الاطلاق من ان يعترف بان الجثة قد اختفت .!

على ان الأمر لم يكن قاصرا على هذا .. ففى المقعد الذى كان فرانسوا فوشيه جالسا عليه حين اطلقت عليه الرصاصة ـ كان يجلس رجل آخر .. رجل كانت رؤيته كفيلة بأن تدفع الدماء حارة فى عروق بيشو .. رجل كان وجوده فى الحياة نكبة على بيشو لان هذا الرجل لم يكن الا ارسين لوبين !

وظل بيشو بضع لحظات وهو يحاول أن يتكلم دون ان يسعفه الصوت .. فلما آتته الكلمات قال بنبرات متهدجة مخنوقة .

ـ تعال يا لوبين . ! انى اريدك .

ونهض لوبين واقفا فى تراخ وكسل وتناول من جيبه سيجارة اشعلها وجذب منها نفسا طويلا ثم اقترب من بيشو ونفث الدخان فى وجهه فحملق فيه فيشو وقد اتقدت عيناه غضبا .

ولو ان شخصا آخر شهد هذه النظرات الغاضبة لوقع فى روعه ان السماء توشك ان تنطبق على الأرض . وأن البراكين تكاد تقذف بالحمم والنيران .. ولكن لوبين كان يعرف انها غضبة ما تكاد تبدو حتى تتبدد وانها لا تكاد تشتعل حتى تنطفىء .

وقال لوبين فى بساطة وهدوء :

- مرحب بك يا بيشو ! ما الذى جاء بك ؟..

فنظر اليه بيشو فى حنق وصاح فى صوت مبحوح :

- انى اريد ان اعرف ما الذى جاء بك انت ؟

فكان جواب لوبين :

- جئت ازور صديقى العزيز فرانسوا فوشيه .. ولكن يظهر انه غائب عن الدار .. الا اذا كنت قد سبقتنى وقبضت عليه وارسلته الى السجن .!

ويجب ان نعرف؛ بان المفتش بيشو يستطيع فى بعض اللحظات ان يكظم غيظه ويتحكم فى اعصابه بطريقة تثير الاعجاب .. وكانت هذه اللحظة جديرة بالاعجاب حقا اذ استطاع ان يقول فى هدوء لا يكشف عن الثورة التى تضطرم فى صدره .

- انى اريد ان اعرف من الذى سبق صاحبه منا ..؟ لقد قتل فرانسوا فوشيه .

فرفع لوبين حاجبيه فى دهشة وقال :

- حقا . ! ان الامر مثير ..!

واوما باصبعه الى المفتش بروكيه وهو يقول :

- وهل هذا الشاب المتالق هو القاتل ؟

فقال بيشو مجيبا : هذا هو المفتش بروكيه من رجال البوليس السرى .

فتظاهر لوبين بالدهشة العميقة وتمتم يقول :

- يا الهى .. انى كنت اعرف ان الفرقة النسائية فى قوات البوليس اصبحت ترتدى البنطلونات !!

وازدراد المفتش بيشو ريقه .

لقد مرت به عشرات من المرات سمع فيها لوبين وهو يهزأ ويتهكم ويسخر .. وكان فى كل مرة يثور ويغضب لان هذه السخرية اللاذعة انما كانت توجه اليه . اما فى هذه المرة فقد اغتبط وابتهج لأن الهدف كان خصمه ومنافسه المفتش بروكيه ولعل هذه المزحة اللاذعة كانت فى نظره خير تكفير عن مزحات لوبين السابقة . ولعله كان يشتهى ان يمعن لوبين فى التهكم على بروكيه ولكن الواجب كان يناديه ولهذا قال :

- واظنك ستنبئنى انك جئت تزور فوشيه لتتحدثا عن الجو ؟

فقال لوبين فى بساطة :

- كلا بالطبع .. انك تعرف يا بيشو انى لا احب ان اكذب عليك ، جئت ازوره لاساله عن سوارات ماسية سرقت من بوديه بعد ظهر اليوم .. وكان فى نيتى ان اصف له حالة بوديه وما انتابه من اليأس الشديد بسبب سرقة هذه الجواهر .. وكان فى نيتى ان اريه خطأه وان احاول ان اقنعه بان الاستقامة اولى به وان اغريه باعادة المسروقات الى صاحبها .. ولكن لم يكن فى نيتى باية حال من الأحوال ان اطلق عليه النار .

فقاطعه بيشو فى لهفة قائلا :

- وكيف عرفت ان النار اطلقت عليه ..؟

- انى لم اقل ايها الشرطى الذكى النبيه ان النار اطلقت على فوشيه وانما قلت انه لم يكن فى نيتى ان اطلق عليه النار .. اذن فقد اطلقت عليه النار ؟

فتردد بيشو برهة ثم قال :

- نعم .

— ومتى كان ذلك ؟

— الآن توا .

فالتمعت عينا لوبين وقال :

— وهل استطعت ان تكشف الجريمة بمثل هذه السرعة ؟ لا ريب انك تتناول فى هذه الايام طعاما يصقل الذهن ويجلو الذكا .

وقطب بيشوا جبينه واخذ يتفرس فى وجه لوبين وينظر فى حنق الى هاتين العينين الحافلتين بالتهكم والسخرية . واخذ يسائل نفسه عما اذا كان منظورا ان يعيش فى سلام مادام هذا الشيطان موجودا على قيد الحياة .

كان لوبين فى نظره شيطانا لا نظير له بين المجرمين واللصوص .. كان طرازا وحده يعلو على القوانين وعلى اجراءات البوليس .. ليس فى الدنيا من يماثله فى جرائته وذكائه واستهانته بجميع رجال الشرطة .

على انه لم يكن مكروها من رجال البوليس وحدهم وانما كان مكروها ايضا من طبقات اللصوص والمجرمين .. على السواء .. كان يتهكم ويسخر بالأولين . وكان يبطش بالآخرين . كم من مرة استطاع فيها ان يوقع المجرمين الخطرين فى ايدى العدالة ويقدمهم لقمة سائغة للمفتش بيشو

كان بيشو لا يتمنى الا ان يقبض على ارسين لوبين بجمع الأدلة التى تؤدى الى ادانته .. ولكنه فى الوقت ذات كان يتمنى الا يقبض عليه اذ طالما استعان به على كثيرين من المجرمين الذين لم يكن له سبيل اليهم .. كان يلجأ الى لوبين فى الملمات ويقول له :

— يا عزيزى لوبين انى واقع فى ورطة .. لقد حدثت جريمة غامضة لا ادرى لها حلا .

فيسارع لوبين الى جلاء الغامض واماطة اللثام عن السر الخفى .. ويفعل هذا كله من وراء ستار فتطلع الصحف على الناس وهى تثنى على المفتش وذكائه .. ويفخر بيشو ويزهو بنفسه وان كان يعلم فى قرارة قلبه ان ليس من فضل يذكر وان الفضل كله يرجع الى عدوه اللدود ارسين لوبين .

وفى هذه المرة كان بيشو ينوى ان يستعين بلوبين .. هذا رجل يقتل بين سمعه وبصره.. ثم تختفى جثته فى خلال مدة لا تزيد على خمس دقائق .. فهل هناك لغز اجدر من هذا ليتدخل لوبين ؟

ولكنه لم يكن ينوى ان يستعين بلوبين « على المكشوف » صونا لكرامته . وكانت الطريقة المثلى فى نظره هى ان يثير اهتمام لوبين بان يقص عليه تفاصيل ما حدث ولذلك قال :

— قتل فرانسوا فوشيه فى هذه الغرفة بالذات .. ومنذ اقل من خمس دقائق .. لقد فتح القاتل الباب واطلق عليه رصاصة بينما كنت اتحدث اليه .. واصابته الرصاصة فى نفس اللحظة التى كان يوشك فيها ان يفضى الى بسر خطير كنت اسعى الى اكتشافه .

ثم اردف بيشو يقول فى كلمات بطيئة :

— واريد ان اعرف ما الذى كنت تفعله فى ذلك الوقت ؟

فابتسم لوبين فى وداعة وقال :

— اهذا تهديد ام رجاء .. ؟

فاجابه بيشو فى جفاء :

— انه ما شئت .. ان فرانسوا فوشيه لم يطلق

الرصاص على نفسه .. واريد ان اعرف من الذى أطلق عليه النار .

فقال لوبين فى حماسة :

- وانا موقن يا عزيزى من انك ستكتشف القاتل .. وعهدى بك انك الوحيد الذى تكتشف مثل هذه الأشياء .. ولا عجب فى ذلك ولك هذا الذكاء الحاد الباهر .. هل فكرت يا ترى فى المروج الكبير ؟..

- نعم فكرت فيه .

وقال المفتش بروكيه فى شيء من الريبة :

- وما الذى تعرفه انت عن المروج الكبير ..؟

فتناول لوبين سيجارة اشعلها ونظر الى بروكيه برهة ثم قال :

- ان ما اعرفه عنه قليل وكثير .. انك تعرف طبعا انى ابحث عنه منذ زمن طويل فقال المفتش بيشو :

- وما هى غايتك يا لوبين من البحث عن الروح الكبير ؟

فارسل لوبين بصره الى المقعد الخالى الذى قتل فرانسو فوشيه وهو جالس فوقه وقال :

- لقد قتل المروج الكبير رجلين .. فهل تريد ان تقول انك لا تتمنى ان تراه ماثلا امام محكمة الجنايات ..

فهز بيشو راسه فى تهكم قائلا :

- معنى ذلك انك تبحث عن المروج الكبير خدمة للعدالة .. انك تعلم يا لوبين انى لا اصدقك فاعترف بالحقيقة .. قل انك تعلم ان المروج الكبير يحتفظ بالجواهر المسروقة التى تصل اليه حتى اذا اجتمع له منها قدر كبير ارسله الى الخارج . وانت تعلم ايضا انه يحتفظ لديه بمبالغ ضخمة

ليشترى بها ما يعرض عليه. فقل اذن انك تريد ان تظفر بهذه الجواهر وبهذه الأموال .

فالتمعت عينا لوبين وقال فى تهكم ملموس :

- الحق يا بيشو ان هذه معلومات جديدة لم يكن لدى نبا بها .

- انك تكذب .

وحملق بيشو فى لوبين وقد اتقدت عيناه بنفس الغضبة المخيفة واسترسل قائلا :

- اتحسبنى غافلا عما يجول فى خاطرك ؟ اتحسبنى اجهل اللعبة التى تدبرها . انك تعرف المروج الكبير .. ولكنك لا تعرف ما يفعله بالجواهر ولا تعرف المكان الذى يحتفظ فيه بالمال .. وهذا هو ما تسعى الآن لمعرفته قبل أن تسوقه الى السجن .. فاذا ما وصلت لى هذه المعلومات ارشدت البوليس فى نفس الوقت الذى تستولى فيه على جواهره وامواله . وهذا هو السبب الوحيد لاهتمامك بالمروج الكبير . ان اهتمامك لا يرجع الى انه قتل رجلين وانما الى علمك بما لديه من مال وجواهر .

فقال لوبين فى صراحة :

- يجب ان اعترف بأن مقتل هذين الرجلين لا يمكن ان يعد خسارة فادحة .. ولكن خبرنى .. ما هى غايتك من هذه المحاضرة المؤثرة ؟

فقال بيشو فى لهجة تهديدية :

غايتى هى ان اذكرك بأن فى هذه البلاد قانونا يعاقب على العمل الذى تنوى ان تقوم به .

فرفع لوبين حاجبيه فى دهشة وقال وهو يتفرس فى وجه

الشرطي بهدوء يثير الغيظ :

— حقـا .

ثم اردفه قائلا :

— يلوح لي يا بيشو انك تعرف ما تتحدث عنه ... أما انا فلا ادرك شيئا من مرامي كلامك ولكن اذا كان في نيتك أن تعيد هذه الاقوال في ساحة المحكمة فعليك ان تذكر انهم لن يستمعوا اليك الا اذا زودتهم بالبراهين المقنعة . فهذه عادة القضاء دائما .. انها طبعا عادة يؤسف لها ولكنهم يأبون ان يقلعوا عنها . ولكن دعني اذكرك بان في هذه البلاد قانونا يعاقب على هـذه الاقـوال التي تنطق بها لأن تهجما على الكرامة واتهامها كاذبا لا اساس له .

— فليكن فلست ابالي !

— بل يجب ان تبالي .. لأني انوي ان اطالبك بتعويض كبير عن هذه الاتهامات السخيفة التي توجهها الي ، ومع ذلك فلنحاول أن نفهم ما تقول .. انك تقول ان رجلا قتل في هذه الغرفة ويفهم من كلامك انك تعتقد اني انا القاتل . او انني على الاقل على علم بسر الجريمة . فأول مسألة تخطر بالبال هي ضرورة التأكد من ان هذا الرجل قتل حقيقة فأين هي الجثـة ؟

وعلى الرغم من أن لوبين القى هذا السؤال بلهجة هـادئة الا ان تأثيره على المفتش بيشو كان عظيما كأنما لم يلاحظ قبل ذلك أن الجثة قد اختفت أو كأنما لم يكن يعرف ان هناك جثة لم يعد لها أثر ظاهر .. الا طبعا عقب السيجارة الذي سقط من بين اصابع فوشيه عندما اصابته الرصاصة . كان العقب قد استقر على السجادة فعلقت بها النار واخـذت

تدخن وسطلت انفه رائحة الاحتراق فأخذ يفرك العقب بقدمه ليطفئه .. وكان هذا في نظره هو الدليل المادي الوحيد على انه لم يكن يحلم او يهذي . وأن كل ما يجول في ذهنه لم يكن قصة من نسج الوهم والخيال .

وقال بيشو في لهجة صارمة :

— نعم اين الجثة ؟ هذا هو ما اريد ان اصـل اليه ... كانت الجثة هنا حينما خرجت من الغرفة .. فلما عـدت وجدتها قد اختفت ووجدتك هنا بدلا منها . واني اعتقـد انك تعرف عن هذه المسألة شيئا غير قليل .

فقال لوبين محتجا :

— بيشو . ماذا دهاك ! اتعتقـد اني من هـواة خطف الجثث ؟

— اني اعتقد أنك ..

ولكن لوبين رفع يده يدعوه الى الصمت ونظر الى المفتش بروكيه في شيء من الانزعاج وقال :

— صـه ! لا تشتمني امام السيدة فليس هذا من حسن الخلق .

فابتلع بيشو ريقه وقال :

— اتريد ..

— أريد ان افهمك انك مخطيء .. ها انت ذا تتحدث مل فمك عن جثة .. ومع ذلك لاتعرف اين توجد هذه الجثة . انك تتساءل عما اذا كنت انا الذي قتلت فرانسوا فوشيه في الوقت الذي لست متأكدا فيه من انه قتل .. انك تشير الى انك ستعتبرني شريكا وتنوي ان تأخذني بجريمة انت نفسك لا تعرف ماهيتها .. فبالله عليك ما معنى هذا الهذيان ؟

قتيل وليست هناك جثة ! قاتل وليس هناك قتيل ! تهمة وليست هناك جريمة !

— انى استطيع ان ابرهن على ..

— على لا شيء .. انك لا تستطيع ان تبرهن الا على تهورك وتسرعك وانك الآن ماض فى هذه المهمة فعلا ... أنك تسألنى عما حدث لجثة فرانسوا فوشيه اعتقادا منك انى لابد ان اكون قد فعلت بها شيئا .. ولكن اذا لم يكن فى وسعك ان تبرز الجثة .. فكيف يمكنك ان تكون على يقين من انه هناك جثة .؟ الا ان يكون القتيل قد بعث حيا وان الرصاصة لم تصب منه مقتلا فغادر المكان اذ افاق من اغمائه وانت خارج البيت .؟ كيف تثبت ان هناك جريمة ارتكبت .؟

ووضع لوبين يده على كتف المفتش بيشو ، وقال فى لهجة الأم وهى تخاطب طفلها :

— انك يا عزيزى بيشو ستجعل من نفسك أضحوكة العالم .. وفى يوم من الأيام سأغضب عليك غضبا شديدا فاحرم عليك التردد على دور السينما .. فهل فهمت .؟

فصاح بيشو قائلا :

— اصمت !

فابتسم لوبين وقال :

— سأصمت . اذ ليس لدى ما أقوله من ذاك .. ولكن يجب ان انذرك بأن صبرى قد نفذ وانه لم تعد لى طاقة على الاحتمال فعد الى بيتك وفكر طويلا فيما تنوى ان تقدم عليه .. وهل تجازف بأن تقبض على بتهمة قتل رجل لا يستطيع أحد أن يثبت انه قتل .. وباختطاف جثة لا يستطيع أحد ان يثبت انها كانت جثة ؟

وكان جواب المفتش على هذه الحجج القوية ان نظر الى لوبين نظرة شذراء .. كان يعرف ان لوبين لم يقل الا حقا .. وان هذه الحجج التى فند بها الإتهامات قوية دامغة لا سبيل الى التخلص من مأزقها الذى يشتد حوله بالخناق ..

ولقد سبق ان ألقى نفسه فى مثل هذه المواقف من قبل .. طالما ظن فى مرات سابقة انه أوشك أن يقبض على لوبين ويدمغه بالأدلة الحاسمة التى لا سبيل الى نقضها فاذا بهذا الشيطان الجرىء الجسور يهدم فى لحظة واحدة كل ما أقام بيشو من البراهين والادلة .

ولقد شعر بيشو بأن لوبين قد وجد فى التهمة الموجهة اليه ثغرة صغيرة دس فيها أصبعه واخذ يديره ويحركه حتى اتسعت الثغرة وانقلبت فجوة كبيرة استطاع ان يمرق فيها بجسده .

وخرج بيشو من هذه الخواطر بنتيجة واحدة وهى ان عليه قبل ان يصل الى لوبين ان يهتدى الى جلاء هذه الألغاز المركبة وان يصغى يوما بعد يوم الى تعنيف مدير الامن العام والى تهكمات المفتش بروكيه .

قال فى امتعاض :

— يمكنك ان تنصرف ..! ولكننى سأعرف كيف اجدك حين احتاج اليك .

فقال لوبين وهو يتناول قبعته ويضعها على رأسه :

— وانا سأعرف كيف أجدك حين احتاج اليك .. الى اللقاء يا عزيزى بيشو .

ثم تحول الى المفتش بروكيه ولوح له بيده وهو يقول :

— الى اللقاء يا حسنائى الجميلة .

واخذ المفتش بيشو يتابعه بنظراته وهو يغادر الغـــرفة وقد استولى عليه الغم .

كان خروجه هذه المرة شبيه بعشرات من مرات ســابقة شهدها بيشو بنفس الألم والحزن .

ولكنه انصرف عن التفكير فى هذه المأساة الأليمة بالانهماك فى أصدار الأوامر والتعليمات الى موظفى قلم تحقيـــق الشخصية الذين استدعاهم لالتقاط ما قد يكون فى المسكن من بصمات .

ولم يكن عسيرا على المفتش بيشو ان يدرك الطريقة التى صعد بها القاتل الى المسكن .. ففى الجزء الخلفى من المسكن يقوم سلم للحريق تسلقه القاتل بلا شك ووثب منـــه الى الحمام خلال النافذة .. ولم يكن أهون عليه اذ ذاك من ان منهمكا فى استجوابه موليا ظهره نحو الباب .

وكان بيشو معتقدا أن الشخص الذى قتل فرانسوا فوشيه هو بعينه الذى قتل جان اونيه .. اى الذى يهمه ان يخرسهما الى الابد حتى لا يظفر منهما البوليس بأى اعتراف .

وكان واضحا أن الرجل الذى يهمه ان نفعل ذلك هــو المروج الـــكبير .

وقص بيشو على مدير الامن العام تفاصيل ما حـــدث واختتم حديثه بقوله :

— وقد خطر لى رأى مهم وهو أن لوبين هو الوحيد الذى يعرف سر الحادث .

فقـــال المـــدير :

— ولكن .. الم يخطر لك أن الصحف تتلهف الى مثل

هذه الاخبار لاذاعتها لتتخذ منها سببا لتسلية قرائها والحملة على رجال البوليس .؟

فاحمر وجه بيشو ولم يقل شيئا . واغتنـــم المفتش بروكيه هذه الفرصة المنيل من خصمه وانبرى يقول :

— لعلك تذكر يا سيدى المدير انى كنت من اول الأمر غير موافق على استجواب فوشيه بهذه الطريقه الشاذة التى عمد اليها مسيو بيشو .

فقال المدير مؤمنـــــا :

— تماما .. تماما .

ثم اردف قائلا مخاطبا بروكيه :

— ولكنك كنت فى رفقة المفتش بيشو فلعلك على الاقل السبب الذى جعله لا يقبض على لوبين رهن لتحقيق ؟

فقال بيشـــو فى غلظة :

— اى تحقيق ؟ ما هى التهمة التى كان يجب ان اقبض على لوبين للتحقيق فى شأنها ؟ التهمة الوحيـــده التى كان يمكن ان تدجه اليه هى انه سهل الفرار لفرانسوا فوشيه .. وهذه مع ذلك تهمة لا وجود لها ، اذ كيف ان يتهم الانسان بالمساعدة على تهريب شخص لم يصدر أى أمر بالقبض عليه؟

فاخذ المفتش بروكيه يقضم باسنانه أظافره المصـــقولة اللامعة ثم قال :

— انى اعتقد انه لو تمكنا من القبض على لوبـــين لا ميط اللثام عن هذه الالغاز .

فقال المدير يذكره فى لهجة هازئة :

— لقد مضت سبع سنوات وبيشو (يحاول) ان يقبض على لوبين !

وأراد بيشو أن يتكلم ولكنه أثر أن يلزم الصمت .

وكان هذا من حسن الحظن لأنه كان فى هذه اللحظة اشبه بالبركان الثائر وهو يوشك ان ينفجر ويقذف بسيول من الحمم والنيران .

الفصل الثالث

حين خرج أرسين لوبين الى الطريق لم يستدع احدى سيارات التاكسى وأخذ يتمشى على الافريز ومرت به سيارة ووقفت عنده فجأة فصعد اليها وغاص فى المقعد الأمامى وتلعت السيارة طريقها مسرعة وما لبثت ان غابت عند منعطف الطريق .

وكانت سوزان فلوميه صديقة لوبين هى التى تتولى قيادة السيارة .

وأرسلت اليه نظرة خاطفة وقالت :

- ماذا هناك ..؟ ابتدات ثانية ؟

فضحك لوبين وقال :

- وأكبر ظنى أنك لا تدركين شيئا من أسرار هذه الحرب ..؟

- هذا صحيح ..

ثم أردفت قائلة :

- انى اعلم انك مولع بالتكتم ولكن بودى ان أعرف شيئا .. لقد جئت تزور فرانسو فوشيه لتسأله عن سوارات مسروقة .. وقد دخلت الى البيت ومعك بيكار .. وبعد لحظات خرج بيكار يحمل جثة .. وبعد فترة من الوقت خرجت أنت أيضا وعلى وجهك أمارات الابتهاج كأنك كنت تتفرج على رواية هزلية فلا غرابة بعد هذا اذا استولى على

الفضول وتمنيت أن أعرف شيئا مما يجرى وراء الستار ..

وتناول لوبين من علبته سيجارة اشعلها وأخذ منها نفسا طويلا ثم قال :

- انك محقه فى فضولك .. فالجثث لا تخطف فى كل يوم . ولكنى كنت أحسب ان بيكار قد اماط لك اللثام عن كل شيء .

وأرسل لوبين بصره الى الراكب الذى كان جالسا فى المقعد الخلفى . ولكن الراكب لم يزد على أن نظر اليه فى بلاهة وقال :

- الحق يا رئيسى انى لا أعرف شيئا مما يجرى وراء الستار .

وبيكار لم يكن جميلا فى يوم من الأيام حتى عندما كان طفلا .. وكانت بوجهة أثار قديمة العهد تدل على انه تلقى على هذا الوجه ضربات لا حصر لها غيرت معالمه فلم تبق منها الا العينان أما الانف فقد صارت فطساء منبطحه .. ولكن المعروف ان مثل هذه الوجوه الدميمة ببربق من الذكاء يشع منها فينسى الناس دمامتها .

ولكن وجه مسيو بيكار لم يكن يشع بشيء من هذا البريق ..!

وعلى الرغم من أن لوبين كان يحب بيكار الا انه له يكن فى وسعه أن يشهدله بالذكاء بأى حال من الأحوال .

قد يكون بيكار على الرغم من دمامته جميلا.. وقد يكون من انصار تحريم الخمر على رغم من براميل الويسكى التى يستهلكها .. ولكنه لا يمكن أن يكون ذكيا ..

وادرك لوبين وهو ينظر اليه أن من المستحيل على من

كان مثل بيكار ان يميط اللثام عن شيء وان يفهم سوزان فلوميه سر (اللعبة) مادام هو نفسه لا يستطيع ان يفهمها.

وحول لوبين بصره عن بيكار وارسله الى الراكب الثانى الغائب عن الصواب والذى كان طريحا فى قاع السيارة عند قدمى بيكار وقال مخاطبا سوزان :

– هذا هو فرانسوا فوشيه .

فقالت الفتاة وقد كاد صبرها ان ينفد :

– لقد استطاع بيكار ان يخبرنى بذلك .. ولكن اكان من الضرورى ان تخطف جثة قتيل ..؟ .

فابتسم لوبين وقال :

– لم يكن ضروريا بالطبع .. ولكنها فكرة طارئة طاب لى ان اقدم على تنفيذها .. ان المفروض ان فرانسوا فوشيه قد قتل .

– وكيف عرفت انه لم يقتل ..؟

فضحك لوبين وقال :

– من المحتمل أن هذه المسألة قد تكون موضعا للشك.. ولكن الأمر المؤكد هو انه الآن غائب عن الصواب .

– ولكن خبرنى بالسر كله .

فقذف لوبين سيجارته من النافذة وقال :

– ان الحكاية على غاية من البساطة .. لقد تسلقنا سلم الحريق أنا وبيكار ووثبنا منه الى الحمام كما كانت خطتنا .. ولكن لم تكد قدمى تستقر فى داخل المسكن حتى سمعت صوت صديقى العزيز المفتش بيشو وهو يتحدث الى فرانسو فوشيه .. وظهر ان بيشو كان قد استطاع أن يقنع فوشيه بأن يتكلم .. ودنوت من الغرفة وانا ارهف

السمع وحاولت أن انظر من خلال ثقب الباب .. ولكنى فى هذه اللحظة دوى طلق نارى داخل الغرفة فأسرعت بالاختباء فى الحمام وسمعت وقع أقدام مسرعة تهبط السلم ثم صوت الباب الخارجى وهو يصطفق فلما ايقنت أن بيشو انطلق الى الشارع ليطارد القاتل خرجت من مخبأى وعدت الى الغرفة .

وسكت لوبين برهة ثم استرسل قائلا :

– كان فرانسوا فوشيه طريحا على الأرض فانحنيت فوقه لافحص جرحه فوجدته سليما لم يمسه سوء . وكل ما هنالك أن الرصاصة اصابت أعلى راسه ومرت بين الشعر فخدشت الجمجمة خدشا خفيفا دون ان تستقر فيها . ولكن تأثير الصدمة الناشئة عن الرصاصة هو الذى ادى الى أصابته بالاغماء فظن بيشو انه قتل .. وهنا طرات لى الفكرة النيرة .

فقالت الفتاة :

– بودى أن أعرف ما هى هذه الفكرة النيرة .

فقال لوبين يسألها فى لهجة تدل على الاستغراب :

– عجبا ..! الم تفطنى الى هذه الفكرة النيرة .؟ اصغى الى .. هذا فرنسوا فوشيه بهم بالوشاية .. هذا شخص يطلق عليه النار ليقتله . فلماذا .؟ أن الوشاة لا يقتلون عادة فى هذه البلاد لأن الثرثرة ليست جريمة يعاقب عليها الناس .. فالدافع الى قتل فرنسوا فوشيه لابد ان يكون راجعا الى أنه يعرف سرا خطيرا .. ولكن الذى أطلق عليه النار لم تتسع له الفرصة للتحقق من نتيجة الرصاصة التى أطلقها .. هل قتلته ..؟ أم جرحته .؟ أن المفتش بيشو،

نفسه فى حيرة من انه لا يدرى جوابا لهذا السؤال فهل فهمت ما أرمى اليـــه ..؟

فهزت سوزان رأسها وقالت :

– يظهر أنى بدأت أفهم .. ولكن يخيل الى انى لم افهم شيئا .

فقال لوبين وهو يضحك :

– ماذا دهاك يا سوزان ..؟ أصبحت كبيكار لا تفهمين الا بصعوبة ..؟ ان الامر غاية فى الوضوح والبساطة .. لقد طلبت الى بيكار ان يحمل الجثة ويهبط من سلم الحريق كما صعد ويضعها فى السيارة وارتميت انا على المقعد انتظر عودة بيشو وصاحبه .. وعند حضوره تبادلنا التحيات والترحيبات واخذ كل منا يقص على الاخر اظرف ما يعرف من الملح والنكات . وأخيرا خرجت وعندما تظهر صحف هذا المساء سيعرف القاتل ان الجثة اختفت أثناء وجودى فى المسكن .

وسيكون اذ ذاك فريسة للسؤال العويص الذى لم يجد له بيشو جوابا من قبل وهو : هل الجثة المختفية هى جثة حقيقة ..؟ قد يدرك اذا كان على حظ من الذكاء ان فوشيه لم مت .. وفى هذه الحالة لابد ان يسعى الى ليقتلنى .. ولكنى اعتقد انه لن يقدم على قتلى الا بعد ان يعرف مافعلت بالجثة فهل بدأت تفهمين ؟

فأحنت سوزان رأسها فى بطء وقالت :

– ولكن من هو هذا القاتل ؟

فأجابها لوبين بقوله :

ومن يمكن أن يكون غير صاحبنا المروج الكبير الذى صار

فى هذه الأيام مثار الالتفات والاهتمام ؟

والحق أن المروج الكبير كان فى هذه الايام محور الاحاديث التى تدور بين ولاة الأمور فى ادارة الامن العام .

لم يكن مروجا لمشروع خيرى أو تجارى . وانما كان موجا للمسروقات .. يرتكب لصوص الجواهر السرقات ثم يحملون اليه ما سرقوا فينقدهم ثمنا بخسا ثم يسارع الى ارسال الجواهر الى امريكا لتباع هناك بسعر مرتفع .

وكان المروج الكبير معروفا باعتداله وعدم مغالاته فى طلب الربح فاذا دفع سواه من المروجين الف فرنك ثمنا لماسة متوسطة دفع هو فيها الفين أو ثلاثة الاف . ولذلك احبه اللصوص واقبلوا جميعا على معاملته فى اغتباط وابتهاج وبلغ من ايثارهم له انهم لقبوه بالمروج الكبير تمييزا له عن صغار المروجين الذين ينشدون الربح الضخم .

ولكن كانت للمروج الكبير طريقة خاصة يضمن بها ربحا مضاعفا وذلك انه كان يتسلم الجواهر المسروقة من اللص ويستمهله الى الغد لاداء الثمن . وفى الغد تكون قد وصلت الى البوليس رسالة سرية تشى باللص فيقبض عليه ولا يعود بعد ذلك لمطالبة المروج الكبير بالثمن المتفق عليه .

ومنذ ثمانية شهور هب رجال ادارة الامن العام لمطاردة المروج الكبير وجمع المعلومات المختلفة فعرفوا من امره ماذكرنا وعرفوا أنه لا يتاجر الا فى الجواهر المسروقة .

ولم يكن للمروج الكبير مكتب معروف يهرع اليه اللصوص كما هى عادة المروجين . ولكن كان له عنوان يتغير كل أسبوع فمكتبه تارة فى ميدان الشانزليزيه وتارة فى مطعم وتارة فى حانة . وذلك لتضليل البوليس ولكل من يخطر له

ان يشي به . على ان الشيء الذى اعنى البوليس هـو الاهتداء الى المصدر الاصلى الذى يردد العنوان الجديد .. فكما سأل البوليس شخصا عن الطريقة التى عرف بهـا عنوان المروج الكبير كان الجواب الواحد الذى لا يتغير هو : لقد سمعت ذلك .. فكلهم سمعوا . ولكن ممن سمعوا ..؟ هذه هى الحلقة المفرغة التى لم يهتد أحد الى سرها .

ومهما يكن من الأمر فان الذين يعرفون شيئا يلـوذون بالصمت والكتمان اذ انهم لا يجهلون الخطر الذى يتهددهم اذا هم تكلموا كما راينا فيما حدث لجان أونيه وافرانسوا فوشيه

واختتم لوبين حديثه بقوله :

ولكن المفتش بيشوا يعتقد ان مصير المروج الكبير قد اذن بالزوال ما دام ان فى فرنسا رجلا يسمى أرسين لوبين !

ثم ضحك وقال :

— نعم . ان المفتش بيشو رأيا عظيما فى . فهو يعتقد انى كفء لكل عمل وانى اذا أردت ان اختطف القمر من السما لما كان الأمر عسيرا .. ولكن الشيء الذى يضايقنى هـو أن بيشو يعتقد انى ما اهتممت بهذه المسألة الا لكى استولى على ما لدى المروج الكبير من اموال وجواهر .

فضحكت سوزان وقالت :

— وانى اؤيد بيشو فى رايه انى موقنة من ا ن هذا هـو غرضـك الحقيقى .

فتنهد لوبين ونظر اليها نظرة عتاب ولوم وقال :

— يالسوء الظن ! كيف استقرت فى ذهنك يا سوزان هذه الافكار الخبيثة عنى ؟ الا تعرفين ان لوبين رجل صالح .. وانه لا ينقصه الا ان يلبس ثياب القس ليصبح قديسا ؟

فقالت سوزان :

— انى اعرف يا ابتاه انك قديس طاهر . ولكن خبرنى الى تنوى ان تذهب بهذه الجثة ؟

— الى منزلى فى حى مونمارتر . اذ ان رجل البـوليس فيما اعتقد لا يعلمون أن لى منزلا فى هذا الحى واكبر ظنى ان فرانسوا فوشيه يكره ان يلتقى بأحد من رجال البوليس فى هذه الايام .

وجعل لوبين يرقبها وهى تقود السـيارة .. وكانت نسما الهواء تضرب وجهها فى رفق ودعة .. وخصلات شعرها تتهدل على جبينها الوضاء .. وكان وجهها هـادئا مشرقا كانما تقودهم الى رحلة فى الهواء الطلق لا الى مغامرة قد تتكشف عن جرائم مثيرة .. ولا عجب فى هذا وهى الفتاة التى صحبت لوبين فى الكثير من مغامراته فالفت هذه الحياة الملاى بالفواجع والماسى حتى تصلبت اعصابها فصارت راسخة لا تهزها الاعاصير والعواصف .

وفى المقعد الخلفى كان يجلس فرانسوا فوشيه وبيكار وكلاهما غائب عن صوابه .. أما الأول فكان لا يدرى شيئا مما حوله بتأثير الرصاصة التى أصابته .. أما الثـانى فكان لا يدرى بتأثير العقل الذى فى دماغه .. أو بعبارة أصح العقل الذى ليس فى دماغه !

وظلت السيارة فى طريقها حتى بلغت حى مونمارتر فلما توسطته وقفت أمام بيت أنيق المظهر جميل الرسم اتخذه لوبين ملاذا له يلجأ اليه كلما الح عليه رجال الشرطة بالمطاردات اذ كانت أغلب عناوين البيوت المختلفة التى يستأجرها معروفة

للمفتش بيشو عدا هذا البيت اذ كان قد استأجره منذ عهد قريب .

والقى لوبين نظرة على فرانسوا فوشيه ثم قال مخاطبا بيكار :

— لا سبيل الى نقله الى داخل البيت الا بواسطة الكرسى ذى العجلات .

والواقع ان من الجراة ان ينقل رجل اسير من السيارة الى البيت فى قلب باريس دون ان يثير هذا النقل انتباه المارة .. اما ان يوضع الاسير على مقعد ذى عجلات ويدفع الى داخل البيت على انه مريض فأمر قد لا يحرك التفات احد من الناس .. وهذا هو ما حدث فعلا فقد احتمل لوبين وبيكار اسيرهما الى المقعد ودفعاه الى البيت على عجل واغلقا الباب دون ان يخطر لاحد ممن رآوه ان هذا الرجل جثة مخطوفة . وقال لوبين مخاطبا صديقته سوزان فلوميه :

— توجد فى الدولاب زجاجة من البيرة . ولكن لا تريها لبيكار والا فلن ارى لها اثر بعد ذلك .. اما انت يا بيكار فعليك بمنشفة مبللة بالماء البارد وحاول ان تعيد الاسير الى رشده .

فكان جواب بيكار ان قال :

— لقد افاق ونحن فى السيارة ولكنى عاجلته بضربة من مقبض مسدسى فاستغرق فى النوم ثانية .

فتفرس فيه لوبين وهو يكاد يتفجر غيظا . وايقن ان بيكار ليس مجردا فقط من الذكاء . ولكنه مجردا ايضا من الكياسة واللباقة فقد كان لوبين يرمى الى ان يتقدم الى فوشيه عند استفاقته على اعتبار انه ملاكه الحارس ومنقذه

المجهول من الموت الذى كان يترصده اكتسابا لثقته حتى يفضى اليه بما يعلم من اسرار المروج الكبير . فكيف يتقدم اليه الآن بهذه الصفة وقد كانت اول بادرة من بوادر العطف التى تلقاها عقب استفاقته — ضربة على راسه من مقبض المسدس .. وهكذا كانت هذه الضربة بطبيعة الحال سببا فى افساد الخطة التى وضعها لوبين . ولكنه كان على استعداد لانتهاج خطة اخرى .

وانتبه لوبين من خواطره على تنهيدة عميقة مصحوبة بانين صادرة من المقعد ذى العجلات فلما التفت وجد ان الاسير قد فتح عينيه وبدا يتحرك .

وارتسمت على شفتى لوبين ابتسامة ظريفة وقال :

— مرحبا بك ايها الغريب !

الفصل الرابع

لم يكن يلوح على فرانسوا فوشيه انه سعيد .

والعذر ملتمس له اذا عرفنا ان ليس فى الدنيا رجل يكون سعيدا عندما تصيب جمجمته رصاصة تفقده الوعى فاذا ما افاق تلقى على ام راسه ضربة من قبضة مسدس .

والواقع انه عندما افاق كان متجهم الوجه منقلب السحنة وقد بدا شعره مفروقا فى الموضع الذى قام فيه بيكار بعمل الاسعافات الاولية !

وكان مما أثار يأسه وخيب امله ان كان اول رجل استقر عليه بصره عندما فتح عينيه انما هو بيكار .

وجعل فوشيه يتفرس برهة فى بيكار فى نظرات ذاهلة مشدوهة وهو يكدح ذهنه من ركوده ويحثه على ان يصل الحاضر بالماضى .. فلما ذكر كل شى هم فى مقعده وتحركت

فنهضته استعدادا للاكمة ينتقم فيها لضربة المسدس .

وكان بيكار على ما يلوح على استعداد لمثل هذه التحية فقدا انحرف بسرعة عن مكانه فطاشت اللكمة ولم تصبه . وفى اللحظة التالية كان بيكار قد امسك بدراع فوشيه ولواها الى الخلف فى عنف .ووحشية .. ولكنه كان يعلم ان لوبين يكره الأساليب التى تنطوى على الشدة فنظر اليه مستفسرا كأنما يسأله الراى والمشورة وقال :

ـ ما رايك يا زعيمى ؟ هل أرحب به ؟

فقال لوبين فى لهجة ذات مغزى :

ـ انتظر حتى نرى لنختار النوع المناسب من انواع الترحيب .

والتقط لوبين المنشفة المبللة بالماء وقال يخاطب فوشيه :

ـ هل نشط ذهنك من اغمائه أم لازلت فى حاجة الى ما ينعشك ؟

فنظر اليه فوشيه نظرات تنطوى على القحة فقال فى ملامحه ما ينبىء بخوفه وفزعه :

ـ ماذا تريد منى ؟

وكان صوته اشبه بزمجرة الوحوش الضارية .

قال لوبين مجيبا :

ـ اننى شخصيا اريد ان اتحدث معك . ولكن يلوح لى ان لبيكار رايا آخر فى الموضوع وبهذه المناسبة هل قابلت بيكار من قبل ؟ انه فرنسى بالاسم روسى بالمولد .. لقد ولد فى روسيا واقام فيها ثلاثين سنة فتعلم على أيدى الفوضويين كل وسائل القتل والقاء القنابل واطلاق الرصاص ويقال انه

قتل من أنصار الملكية ثلاثة آلاف شخص ولكن بعض الناس يؤكدون أنهم ثلاثة آلاف وخمسة .

فصاح فوشيه فى وحشية قائلا :

انى اعرفه .. انه هو الذى ضربنى على رأسى بقبضة مسدسه .

فقال لوبين فى لهجة تنم عن الاسف :

ـ لقد انبانى بذلك . ولولا هذا لكان حديثنا الآن وديا .. ولكن ما العمل وبيكار رجل شديد القسوة .؟ نعم .. ان له غراما بأن يضرب بمسدسه .. فى بعض الأحيان يضربهم بمقبض المسدس وفى بعض الأحيان بالفوهة .. اعنى بالرصاصة التى تنطلق من الفوهة .. الذئب بما يرمى اليه حين يقول انه يريد أن يرحب بك ؟

ولم يجب فرانسوا فوشيه على هذا السؤال .

واخذ لوبين يتفرس فى وجه أسيره العابس المتجهم ، وقد ايقن أن كل محاولة ودية لانتزاع الكلام منه ما لها الى الاخفاق . وخطر له ان الاستعانة ببيكار لابد منها فى مثل هذه الظروف .

واسترسل لوبين قائلا :

ـ ان للترحيب فى نظره معنيين فمن المحتمل انه يقصد دعوتك الى نزهة قصيرة فى السيارة فاذا ما انتهى بك الى بقعة منزلة خالية من المارة القاك فى النهر بعد أن يفرغ فى بطنك رصاصة مسدسه .. وقد يكون له قصد آخر وهو أن يكتفى بثنى ذراعك .. أو بثنى قدميك على النار .. أو ما يشبه ذلك .. الواقع أن بيكار رجل كتوم ومن عاداته أن لا يطلعنى على ما ينوى أن يفعله بأسرارنا .. ولكن يجب أن

انبهك الى ان لبيكار افكارا عجيبة وابتكارات مدهشة .. فمن ذلك انه انى منذ بضعة ايام بخصم له فارقده مشدود الوثاق على سرير من الحديد ثم اشعل تحت (الملة) الحديدية .. وبطبيعة الحال تضايق الرجل وبلغ من شدة سخطه انه آثر ان يترك العالم فمات محترقا .. وفى مرة اخرى .

فصاح فوشيه مقاطعا فى وحشية :

— من انت . من انت ؟

فابتسم لوبين وقال :

— اننى لوبين ايها الصديق العزيز .. ارسين لوبين .. طبعا هناك اشاعات كثيرة يرددها عنى الناس. وبعضهم يعتقد انى اسطورة من الاساطير لا وجود لها .. فقل لهم ايها الصديق العزيز انك رايت ارسين لوبين بلحمه ودمه .

فبدا الخوف فى عينى فوشيه وهتف يقول وهو يرتعد فرقا :

— انت ارسين لوبين .!

فاحنى لوبين راسه وقال :

— هذا هو ما مضت ساعة وانا احاول ان ادخله الى دماغك .. نعم اننى ارسين لوبين .

— اننى اعرفك .. انت المروج الكبير .!

فهز لوبين راسه نفيا وقال :

— انك مخطىء فى هذا .

— انت القاتل الذى اطلق النار منذ برهة .

— وقد اخطات فى هذا ايضا ايها الاخ .. فانا اولا لست المروج الكبير .. وثانيا لست الرجل الذى حاول ان يقتلك .. وهناك مسالة اخرى غابت عنك وهى أن ارسين لوبين اذا اطلق النار على احد فلا يمكن ان يدع له فرصة لاساءة الادب

فيما بعد . ولكن دعنا من هذا الحديث المؤلم .

وتناول لوبين سيجارة اشعلها وجذب منها نفسا طويلا ثم قال :

— اولى بنا يا صاح ان نتبادل حديثا وديا .. انى لم اطلق عليك النار ولكنى كنت موجودا فى مسكنك عقب اطلاق الرصاص عليك مباشرة . ولقد خطر لى أن الاقامة فى بيتك لم تعد تطيب لك فرأيت برا بك ان اخطتفك وانقلك الى دارى .. والآن أريد منك ان تقص على ما تعرفه .

ودار فوشيه بعينيه فى أرجاء الغرفة حتى استقرت نظراته على وجه لوبين ثم قال فى لهجة تنطوى على التحدى والعناد :

— انى لا اعرف شيئا .. ولن اقول شيئا .

فقال لوبين فى عطف ورقة :

— يلوح لى انك لم تستفق تماما من اغمائك .. ومع ذلك فقد كنت وشيكا بأن تفضى الى المفتش بيشو ببعض المعلومات .. وبهذه المناسبة الم تقابل مسيو بيكار من قبل .؟ لقد حدث منذ بضعة أيام انه ..

قلت لك انى أعرف شيئا .!

وتململ بيكار فى موقفه .. على انه على استعداد لان (يرحب) بفوشيه فلماذا يحول لوبين دونه ودون القيام بواجبه .؟ ان العنف فى نظره خير وسيلة للتغلب على المشاكل المعقدة . ولقد مضت مدة طويلة وبيكار يعتقد ان المسدس هو الحكم الوحيد الذى لحكمه ماينبغى من الاحترام والتقديس .

وقال بيكار وقد انتعش امله :

— هل (ارحب) به يا زعيمى ؟

وجذب لوبين نفسا طويلا من سيجارته توهج معه طرفها

وفسر بيكار السكوت بانه اذن بالعمل فاشتدت قبضته على ذراع فوشيه وثناها فى عنف فانقلبت سحنة المسكين وامتقع
— انتظر .. انك تكاد تكسر ذراعى .!
وجهه وصرخ متوجعا قائلا :

فقال لوبين فى اهتمام :

هذا شىء يؤسف له ..! ولكن خبرنى .. ايشعر الانسان بالألم اذ ما كسرت ذراعه ..؟

فصاح فوشيه متوسلا يقول :

— ولكنك لا ترضى بان تكسر ذراعى .! كيف تريد منى أن اتكلم وانت تعلم ما حدث .؟ انه يقتلنى لا محالة .؟ وانت تعرف ذلك حق المعرفة .

فاجابه لوبين فى برود :

— انى اعرفه حقا .. ولكن يجب أن لا تنسى ان للموت طرقا مختلفة وانى اعتقد أن بيكار يعرف طريقة خيرا من اطلاق الرصاص » فهل تريد ان يجربها معك .؟ لقد انذرتك فلست ملوما بعد ذلك .. ان بيكار كالجواد . اذا جمح لم يستطيع احد ان يوقفه عند حـده فهل تريد ان اخلى له العنـان ليجمح ؟

فازدرد فوشيه ريقه وقد ازدادت سحنته انقلابا لفرط الالم الذى يشعر به كلما امعن بيكار فى ثنى ذراعه . وكانت عيناه تتوسلان الى لوبين أن يأمر (وحشه) بأن يترفق به ولكن نظرات لوبين كانت تنم عن البرود وقلة الاكتراث .

وقال فوشيه وهو يكاد يبكى :

— أتريد ان اقتل .؟

فكان ان أجابه لوبين فى برود قائلا :

— ثق انى لن ابكى اذ جاءنى نعيك .. ولكن لماذا تنظر الى الحياة بمثل هذا المنظار الاسود ..؟ الا تعلم أن فى وسعى أن اجعلك تغادر فرنسا فى سلام فتستقر فى انجلترا وفى جيبك عشرة آلاف فرنك وأنا أضمن لك بأن لا يلحقك اى اذى . ولست اظن ان المروج الكبير سيكر فى أن ينطلق فى اثرك الى انجلترا .. اما اذا رفضت أن تتكلم فسأترك لبيكار الحرية فى ان يفعل بك ما يشاء .

وكان لوبين يتكلم فى لهجة الرجل الذى يذكر لصاحبه أن الجو بديع اليوم .. ولكن البرود الذى يبديه بعث فى اوصال فوشيه رعدة وخوفا .. كان فوشيه يعلم ما تردده الألسن فى اوساط المجرمين ان للوبين ابتسامة تبعث الرعب . وان خطره لا يشتد الا اذا كان يبتسم ..! فلم تخدعه هـذه المظاهر الباردة التى تدل على قلة الاكتراث وادرك انه ان ابى أن يتكلم حاق به خطر شديد .

وتمتم فوشيه قائلا :

— تبـا لك .. ! سأتكلم .. ولكن يجب ان تضمن لى سلامتى وتطلق سراحى .

— اذا ذكرت لى شيئا نافعا أطلقت سراحك .

وتكلم فوشيه فى صوت مبحوح :

— مطعم كوزيه .

فأومأ لوبين برأســه الى بيكار بأن يكف عن تعذيب الاسير قائلا :

— ترفق به قليلا يا بيكار .

فترك بيكار ساعد الأسير ومسح كفيه فى بنطلونه .

ولكنه كان متحفزا لمعاودة عملية الترحت وقد بدا على

وجهه الاسف لاضراره الى التخلى عن فريسته شأنه فى ذلك شأن الوحش الذى يأبى ان ينزع مخالبه اذا ما انشبها .

وقال بيكار محاولا ان يظفر من لوبين باذن جديد :

— انى أعرف انه لن يتكلم فدعنى أرحب به ..!

فنظر اليه فوشيه شذرا وكان وجهه لايزال ممتقعا ويده تدلك ذراعه ليجفف خناجر الالم التى تمزقه .

ولبث لوبين صامتا ينتظر ان يستفيق أسيره مما اصابه ويستعيد ثباته ليبدأ اعترافه من جديد واخذ يتشاغل باحتسا بضع جرعات من قدح البيرة الموضوع امامه :

— هيه .. تكلم .

— انى لا اعرف شيئا آخر .. ألم اذكر لك أن ..

— أسبق لك ان تعاملت مع المروج الكبير ..؟

— نعم ..

وكان فوشيه يحرك ذراعه ليطمئن الى انها لم تنخلع من مناصلها .. وكانت الكلمات تتدفق من فمه فى صوت مبحوح فاسترسل قائلا :

— لقد سبق ان تعاملت معه .. وهذا هو السبب فيما عرفت .. كنت أتمنى أن اعرف من هو المروج الكبير فلما ظفرت باحدى الغنائم من الماس اودعتها طردا صغيرا ارسلته الى المروج الكبير بالعنوان الذى أعرفه ثم تواريت على مقربة من المكان لاتمكن من رؤيته اذا ما حضر لاستلام الطرد .. وكنت موفقا اذ رأيته دون أن يرانى فأخذت أتعقب خطواته لاهتدى الى مقره .. ولكنى لقيت فى طريقى صديقا أخذ يتحدث الى فشغلنى عن متابعة المروج الكبير ففقدت أثره .

— وما الذى حدث بعد ذلك ..؟

— قابلته صدفة فى اليوم التالى فى ذلك المطعم .

— مطعم كوزيه ..؟

فأحنى فوشيه رأسه ولعق شفتيه قائلا :

— أتسمح لى بقدح من البيرة ..؟

فاومأ لوبين ايجابا فغادر بيكار الغرفة ليعود بقدح فارغ .

ونهض فوشيه واقفا ودنا من المنضدة وتناول زجاجة البيرة الموضوعة عليها استعدادا لملء القدح الذى سيأتى به بيكار .

فقال لوبين :

— وما الذى حدث بعد ذلك ؟

— لقد رأيته يضع طردا فى جيب معطف معلق على المشجب وفى تلك اللحظة وقع حادث غريب لم يكن لوبين يتوقعه .

كان فوشيه قد مد يده ليمسك بزجاجة البيرة ولكن بدلا من أن يقبض على قاعدتها امسك بفوهتها .. انتبه لوبين الى هذه الحركة فى اللحظة التى رفع فوشيه يده بالزجاجة وطوحها فى عنف محاولا أن يصيب بها رأس لوبين .

وفى حركة غريزية انحرف لوبين عن مكانه ومال برأسه قليلا فمرت الزجاجة على مقربة منه واصطدمت بالجدار فتحطمت وكان لها صوت أشبه بصوت القنبلة .

وقبل أن يعتدل لوبين ونهض واقفا كان فوشيه قد غادر الغرفة راكضا وأوصد الباب من الخارج .

واندفع لوبين فى أثره وخلفه بيكار الذى حضر مسرعا على صوت تهشم الزجاجة .

كان فرانسوا فوشيه يعتقد أن لا مخرج له من هذه الورطة التى وقع فيها .. ان تكلم قتل .. وان سكت قتل .. نعم

انه يعتقد ان لارسين لوبين مقدرة خارقة على البر بوعده .. ولكنه لم ير مايدعو الى الركون الى وعد رجل مهما قيل فى وفائه فقد ينكث فى هذه المرة .. فهداه تفكيره السقيم الذى كان متأثرا من الرصاصة التى أصابته ، الى ان الفرار هو السبيل الوحيد الى النجاة .

وحين بلغ لوبين باب بيته الخارجى كان فرانسوا فوشيه يجرى فى الطريق بملء سرعته .

وفى تلك اللحظة خرج من احشاء الظلام موتوسيكل ينهب الأرض نهبا وهو يطلق من محركه فرقعة تصم الاذان .

وترنح فوشيه وسقط على وجهه فى اللحظة التى اخرج فيها بيكار مسدسه من جيبه ..!

فقال لوبين :

– لا داعى لأن ترحب به فقد سبقك سواك الى الترحيب بـــه .

فقال بيـــكار :

– هل أنت الذى أطلقت عليه النار ..؟

فهز لوبين رأســـه نفيـــا :

ولما رجعا الى الدار قال لوبين مخاطبا سوزان فلوميه :

– يجب ان نرحل عن هذا البيت سريعا فقد قتل فوشيه

– ولـــكن لم قتلتـــه ..؟

– لست أنا الذى قتلته .. كان هناك من ينتظره خارج البيت على موتوسيكل فى ركن الشارع ومن المحتمل ان المروج الكبير نفسه هو الذى كان راكبا الموتوسيكل .. لقــد كنت اظن أن ليس هناك من يعرف هذا المنزل .. ولـــكن يلوح لى أن سره لم يعد مكتوما فلابد من الرحيل .

ثم أشعل سيجارة جذب منها بضعة أنفاس وقال :

– يظهر ان صديقنا المروج الكبير ليس من الطراز الذى يعرف التمهل والانتظار .. واغلب ظنى انه لم يكن ينتظر فوشيه فقط . وانما كان ينتظرنى أيضا ليرحب بنا معا ..

ثم تنهد بمقولة تدل على الاسف :

– ان موت فوشيه لم يحزننى الا لشىء واحد وهو انى لم أظفر منه بالاعتراف كاملا .. ولكن حسبى انى عـرفت أن المروج الكبير يتردد أحيانا على مطعم كوزيه .. ومن الآن فصاعدا سأتردد على هذا المطعم واتناول طعامى هناك حتى اهتدى الى المروج الكبير ولو أصبت بالتخمة .

الفصـــل الخامس

فى صباح اليوم التالى لم يكن للملايين من أهل فرنسا من حديث الا عن مصرع فرانسوا فوشيه المزدوج .. ولم يكن للصحف من خبر تسوقه الى الناس غير هـذا بالعناوين الضخمة البـارزة .

ولكن بين كل هذه الدهشة المذهولة المتعجبة كان هناك شخص واحد لم يذهل ولم يعجب ولم يندهش .

وهذا الشخص هو موريس جاستون .

ولكنه على الرغم من ذلك كان مهموما يفكر فى هذه المسألة ولو ان شخصا رآه وهو ماض الى مكتبه فى الصباح لما خطر له انه مثل هذا الرجل قد يهتم بشىء .. كان له وجه جامد كوجوه رجال الأعمال التى صقلتها المحن والتجارب فعادت كانها منحوتة من الحجارة . فمهما اصطخبت العواصف فى القلب فالتمثال جامد لا يتحرك ..

وكانت هناك عواصف تصطخب فى القلب .. ولكن الوجه

كان على عهده ساكنا .

كان موريس جاستون يفكر فى مصرع فرانسوا فوشيه ولعله هو الوحيد بين أهل فرنسا جميعا الذى يستطيع أن يلقى ضوءا على هذه الجريمة الغامضة التى حيرت ادارة الأمن العام وجعلت الدم يرتفع عند المفتش بيشو بدرجة تنذر بالخطر وحين وصل مسيو جاستون الى مكتبه أمضى تيه ثلاث ساعات وهو منهمك فى العمل يجيب على مجموعة من البرقيات الواردة اليه من مختلف ارجاء العالم وهو يملى هذه الاجابات على سكرتيرته فى سرعة تدل على أنه حقا من رجال الأعمال الذين لا يلهبون لجمال السكرتيرة أو دمامها .

وبعد الساعة الثانية عشرة بقليل دق جرس التليفون فتناول مسيو جاستون السماعة ووضعها على اذنه .. ودون تمهيد او مقدمات سمع صوتا يقول له :

– فى اى مطعم ستتغدى اليوم ؟

ولم تبد على وجه مسيو جاستون ذرة من الدهشة لهذا السؤال المفاجىء ولم يسأل محدثه عن شخصيته وانما اجابه على الفور :

– سأتغدى ثانية فى مطعم كوزيه .

فكان الجواب الوحيد الذى سمعه .

– حسنا ..

ثم انقطعت المحادثة التليفونية .

ورد جاستون السماعة الى مكانها وأخذ يتابع املاء رسائله على سكرتيرته فلما فرغ من عمله نهض واقفا وارتدى معطفه وقبعته وخرج .

وفى طريقه الى المطعم مر بحانوت جوهرى فابتاع قطعتين

من الماس ولفهما فى ورق رقيق ودسها فى جيب صديريته .

وعندما وصل مسيو جاستون الى مطعم كوزيه كان المكان غاصا بالعشرات من الكتبة ورجال الأعمال الذين اقبلوا يلتهمون ما اشتهر به هذا المطعم من اللحم المشوى .

وشق مسيو جاستون لنفسه طريقا بين الموائد ثم انتقى مائدة معينة فجلس اليها بعد ان علق معطفه وقبعته على المشجب . ولما جىء له بالطعام نشر امامه احدى الصحف واخذ يطالعها دون ان يبدى اى اهتمام بمن حوله .

ولما فرغ من طعامه اختتم وجبته بقدح من الشاى ثم طوى الصحيفة ودفع أجر ما أكل ثم نهض واقفا ومشى الى المشجب فتناول قبعته ووضعها على رأسه وارتدى معطفه .

وقد شعر وهو يلبس المعطف بأن فى جيبه طردا صغيرا ولكنه لم يدهش ولم يعجب للامر كانما كان يتوقع ان يجد الطرد فى جيبه .. بل لقد بلغ من عدم اكتراثه انه لم يفكر فى ان يخرج اللفافة من جيبه ليفحص محتوياتها .

ولما رجع الى مكتبه قال يخاطب سكرتيرته وهو يجلس على مقعده :

– لقد عقدت صفقة كبيرة وانا على مائدة الغداء .. لدى مجموعة كبيرة من الماس أريد ان أرسلها الى امريكا .. ويجب أن نسافر بالباخرة كوين التى تقلع فى صباح الغد فارجوك أن تتصلى تليفونيا بشركة التامين لاتخاذ الاجراءات اللازمة .

وبينما كانت السكرتيرة الدميمة تتحدث تليفونيا فض موريس جاستون اللفافة اخرج منها مجموعة من ماسات كبيرة الحجم يخطف بريقها الابصار وجعل يقلبها بين أصابعه

ثم فتح خزانته وأخرج منها مجموعة أخرى اضـــافها الى الأولى . ثم أودع الماسات كلها فى صندوق صغير .

وكانت سكرتيرته قد فرغت من حديثها التليفونى فالتفتت اليـــه قائلة :

ـ سترسل الشركة مندوبها على الفـــور ..

فأحنى مسيو جاستون رأسه وأرســـل بصره الى الساعة المعلقة على جدار الغرفة .

لم يكن مسيو جاستون نهما محبا للطعام وانما كان مدمنا مولعا بالشراب ولطالما شعر وهو فى مكتبه برغبة ملحه تدفعه الى مغادرة مقـــر عمله والاسراع الى احدى الحانات ليفرغ فى جوفه بضعة كؤوس من الشراب .

وفى تلك اللحظة شعر مسيو جاستون بهذه اللهفة الى الخمر فنهض واقفا وهو يقول :

ـ مدموازيل رينيه .. انى مرتبط بموعد هام .. ولذلك سأوكل اليك العناية بمسالة الجواهر وشحنها الى أمريكا .

وكانت مدموازيل رينيه تعرف حق المعرفة سر الموعـــد المهام المرتبط به مخدومها .. كانت تعرف حنينه الى الشراب اذ لم يكن هذه أول مرة يتركها فيها منتحلا هذا العذر .

وقالت الفتاة تساله وهى تشيعه الى الباب :

ـ وكم قيمة التامين يا مسيو جاستون ..؟

ـ سبعمائة وعشرون الف فرنك .

وكان مسيو جاستون يفخر بدقته فى تقدير قيمة الجواهر التى شحنها الى أمريكا . فما من مرة قدر لها رقمـــا الا وافق مندوب شركة التامين على هذا التقدير فلا يكون ثمة من خلاف بينهما يعدو الألف فرنك .

وما كاد مسيو جاستون يغادر البناء ماضيا الى الحانة التى اعتاد أن يختلف اليها حتى دق الباب فى مقر مكتبه وأسرعت مدموازيل رينيه الى تلبية النداء فالفت أمامها شابا أنيق المظهر بادرها بقوله :

ـ اننى مندوب شركة التامين .

فتنحت السكرتيرة عن الباب وأذنت له بالدخول فقال لها :

ـ لقد حضرت بشان الجواهر .

ـ انى فى انتظارك . ولكنك حضرت مسرعا .

فقال الشـــاب مجيبـــا :

ـ لقد كنت فى عمل آخر على مقربة من هـــذا المكان ودعتنى الظروف الى الاتصال بالشركة تليفـــونيا فانباونى أنكم فى حاجة الى فحضرت على الفور .

وحين نظر الشاب الى الفتاة ورأى دمامتها ذكـــرته على الفور بالمسابقات التى تعقد لانتخاب أقبح امرأة .

وتناولت مدموزايل رينيـــه الصندوق المودعة فيه الماسات وقـــدمته اليـــه قائلة :

ـ هذه هى الجواهر المراد شـــحنها .

فالقى عليها مندوب شركة التامين نظرة عاجلة ثم قال :

ـ سالفها وأحملها معى على الفور .

فقالت السكرتيرة فى شىء من الدهشة :

ـ تحملها معك ..!

ـ نعم . فهذه هى التعليمات الجديدة .. لقد قـــررت الشركة أخيرا أن تتولى بمعرفتها فحص الجواهر المطـــلوب التامين عليها على أن يجرى ختمها بالشمع الأحمر فى مقـــر الشركة .. وقد صدرت هذه التعليمات بسبب بعض حوادث

اللفش التى كانت شركتنا فريسة لها فى العهد الأخير .

فقالت المدموازيل رينيه فى لهجة تدل على الاستغراب :

— لكن مسيو جاستون عميل قديم لكم ومثله لا يمكن أن يقدم على أى نوع من أنواع اللفش .

— هذا صحيح .. ولكن هى التعليمات دائما .. وليس معقولا ان تضع الشركة قاعدة لتنفذها على عميل دون عميل .. ومع ذلك فالأمر كله لا يعدو أن يكون مجرد رسميات .. وساعطيك ايصالا عن الجواهر ومنذ استلامى لهـا تكون الشركة مسئولة عنها وملزمة بدفع قيمة التامين اذا فقدت

وجلس الى المكتب وأخرج من جيبه ورقة بيضاء ليكتب عليها الايصال المطلوب .

ولو ان شخصا آخر خلافه أرسين لوبين هو الذى يكتب هذا الايصال لكان متعجلا متسرعا حتى يفرغ من هذه المهمة ويغادر المكتب والجواهر فى جيبه قبل أن يعود مسـيو جاستون على غير انتظار وقبل أن يحضر مندوب الشركة .. وكنه كان متباطئا يحرر الايصال على مهل حتى لا يثير بتسرعه شبهة مدموازيل رينيه .

وقالت الفتاة :

— قيمة التامين ٧٢٠ ألف فرنك .

فاجابها لوبين قـائلا :

— حسنا .. سآخذ مفكرة بذلك .

ودون شيئا فى ورقة أخرى وضعها فى جيبه .

وكانت الفتاة فى أثناء ذلك قد فرغت من لف صـندوق الجواهر فتناوله منها لوبين واودعه فى جيبه .

ولكن مهمته لم تكن قد انتهت بعد .. حقيقة ان الجواهر

فى جيبه .. ولكن الخروج من المكتب ليس سهلا . فان من المحتمـل أن ...

وتفتق ذهنه عن حيلة ينفى بها ما قد يتطرق فجـأة الى نفس الفتاة من الشبهات فقال لها :

— الديك ما يشغلك يوم السبت القادم ..؟

وكانت عيناه تبتسمان وفيهما ظرف ورقة .

فحملقت فيه مدموازيل رينيه وقالت :

— ولم تسـال ..؟

فكان جوابه أن سالها قائلا :

الا تحبين جريتا جاربو ؟

— وكان سؤاله مفاجاة لم تكن تتوقعها فغمغمت تقول :

— أوه .. !

وتخضب وجهها احمرارا وأخذ بدنها يرتعـد اذ كانت المسكينة لا تعرف المغازلات ولم تعتد عليها ولها مثل هـذا الوجـه الميم ..

وقال لوبين مسـترسلا :

— فليكن لقاؤنا فى ميدان الشانزليزيه فى الساعة السابعة مسـاء ..

فأحنت رأسها وهى تبتسم ابتسـامة جعلت لوبين يسرع الى الفرار لأن هذه الابتسامة زادت وجهها بشاعة وقبحا .!

ولما وصل الى باب الغرفة أرسل اليها على أطراف اصابعه قبله محبة ثم أوصد الباب وقد تركها خلفه فى حـالة من الذهول والنشوة جعلتها لا تفكر فى القاء نظرة على الايصـال الذى تركه موضوعا على المكتب .. ولو أنها قرأت هـذا الايصا أثناء وجوده لكان الأمر مختلفا اذ كانت الامضاء غير

مقروءة وليست فيه اية اشارة الى شركة التامين أو اسمها .!

وهكذا لم تستفق عدموازيل رينيه من نشوة المغازلة الا بعد ان صار آرسين لوبين على مسافة غير قليلة من المكان ولما قرأت الايصال ادركت كل شيء وعرفت أنها وقعت فريسة محتال خدعها واستولى على الجواهر .

على أن حزنها على الجواهر المفقودة كان دون ريب أقل بكثير من حزنها على المغازل المفقود .!

لقد عاشت طول عمرها تتمنى لو أنها سمعت كلمة غزل واحدة والآن وقد جاء هذا الشاب الظريف ذو الشارب المستعار ليحدثها عن جريتا جاربو ويسألها أن ترافقه الى السينما الآن وقد جاء . كيف تفقده بمثل هذه السرعة .!

ولم يمض لوبين بالجواهر الى بيته وانما ذهب الى محل شحن الطرود فلف الصندوق فى ورق أسمر وكتب عليه اسم مسيو اندريهشوتان يحفظ بريد بوستة ميدان لاكونكورد .. وهكذا ترك بين يدى عمال البريد ثروة تبلغ قيمتها ثلاثة أرباع مليون فرنك ركونا الى ما هو معهود فيهم من الامانة والاستقامة .

وبعد ساعتين رجع الى داره . فلما أشرف عليها الفى سوزان فلوميه فى انتظاره على الافريز فنظر اليها باسما وقال :

ـ أكنت تنتظرين ان يمر بك أحد ليدعوك الى سهرة فى السينما ..؟

فاجابته ضاحكة :

ـ بل كنت أنتظر مغامرا جريئا يدعى أرسين لوبين .. فهل قابلت شخصا يحمل هذا الاسم ..؟

فقال لوبين مجيبا :

ـ يخيل الى انى قابلته .. لقد لمحته فى كنيسة نوتردام يخطب الناس يدعوهم الى الاستقامة والتمسك بالفضيلة .. انه شاب لوجهه هالة نورانية .

ألم يكن يفعل شيئا آخر غير الوعظ والخطابة ..؟

ـ نعم كان جالسا فى مطعم كوزيه ياكل لمدة ساعتين باستمرار . فكلما فرغ الطعام الذى أمامه طلب سواء حتى كاد يصاب بالتخمة .. ولكن لم يكن فى وسعه أن يزايل المكان الا بعد حضور لشخص الذى كان ينتظر قدومه . وفعلا حالفنى الحظ فقد رأيت طردا صغيرا يوضع فى جيب معطف معلق على المشجب كما ذكر لى فرانسوا فوشيه تماما فتبعت صاحب المعطف الى عربته .. وهنا حالفنى الحظ المرة الثانية فبينما كنت اصغ السمع عند الباب سمعته يطلب من سكرتيرته أن تتصل بشركة التامين لترسل مندوبها لتقدير قيمة الجواهر والتامين عليها . فما انصرف حتى طرقت الباب وقابلت السكرتيرة وادعيت انى مندوب شركة التامين . فاستوليت على الجواهر وهربت بها .. وأغلب ظنى أن المتاعب ستبدأ عاجلا .

فاحنت سوزان رأسها وقالت :

ـ بل لقد بدأت فعلا . فهناك من ينتظرك فى البيت .

ولبث لوبين صامتا برهة من الوقت ثم قال وقد التمعت عيناه : كم عددهم ..؟

ـ واحد فقط .

فبدت على وجهه أمارات الدهشة وقال :

ـ واحد فقط ؟ عجبا .. لابد اذن ان يكون صديقى

العزيز المفتش بيشو .

فهزت سوزان رأسها وقالت :

- كلا .. انه مساعده .. ذلك الشاب المتانق الـذى تخرج يد البارون تربيته .. لقد مرت بى نصف ساعة وأنا انتظرك هنا لأخطرك بأنه فى انتظارك .

الفصـل السـادس

قبل ان يمضى لوبين الى داره عرج على مخبأ صغير له يحتفظ فيه بمجموعة كاملة من الثياب وأدوات التنكر فنزع شاربه المستعار والثياب التى كان يرتديها حين تقدم الى مدموازيل زينيه على اعتبار انه مندوب شركة التامين والمغازل الجسور .. وارتدى ثيابا أخرى ثم انطلق من فـوره الى بيتـه ..

وتاتاه المفتش بروكيه بقوله :

- كنت انتظـرك .

فابتسـم لوبين وقال :

- هذا أمر لم يخطر لى ببال . فما كنت أعتقد انى فاتن النسـاء الى هـذا الحـد ..!

ولم يضحك بروكيه لهذه الدعابة وانما قال فى جفاء وغلظة : فلنصعد الى غرفتك .

فحملق فيه لوبين دهشا وقال :

- غرفتى ! ألا تعلم أن مدموازيل سوزان فلوميه شديدة الغـيرة على ..؟

وبهذه المناسبة دعنى أقدمك الى صديقتى سوزان . هذه يا سوزان هى مدموازيل مارى بروكيـه المفتش بادارة البوليس السرى ..!

فقال بروكيه وهو يغالب غضبـه :

- انى افضل أن يجرى الحديث بيننا على انفراد .

وكانت عيناه بدأتا تتقدان بالغضب . وتصلبت عضـلات وجهه ونمت نظراته عن الشر .

لو أن المفتش بيشو فى مكانه لتلقى هذا المزاح بالصبر وقلة الاكتراث . أما هذا الشرطى الحديث العهد بالمهنة فـلا يمكن ان يرضى عن الوخزات التى اعتاد لوبين أن يوجهها الى رجال البوليس .

وقال لوبين يسأله :

- ولكن ما الداعى الى هذه الخلوة ؟ يمكنك ان تتـكلم أمام صديقتى سوزان بكل ما تشاء .. انها كما قلت شديدة الغيرة .. ولكنى أعلم أنها ستتغاضى اذا فكرت فى مغازلتى

فقال المفتش بروكيه فى غضب :

- هيا بنا الى غرفتك ..

فهز لوبين كتفيه فى استخفاف وقال :

- هيـا بنـا ..

واخذ بذراع المفتش بروكيه وقاده الى غرفته وهو يقول

- تكلم بما شئت فانى مصغ اليك .

وقال بروكيه فى كلمات بطيئة وهو يتفرس فى جليسه :

- أتعرف رجلا يدعى موريس جاستون ؟

فقال لوبين فى لهجة بريئة :

- موريس جاستون ..؟ اننى ما سمعت بهذا الاسـم من قبل .. ما مهنته ؟ هل هو ذلك الشخص الذى تنوى الحكومة أن تعينه لكى يعد النجوم ؟

فلم يعبأ بركيه بهذا التهكم وقال مسترسل :

— فى الساعة الثالثة الا ربع بعد ظهر اليوم دخل مكتب مسيو موريس جاستون رجل ادعى انه مندوب شركة التامين الانجليزية واستولى على جواهر قيمتها ٢٧٠ الف فرنك .

فرفع لوبين حاجبيه دهشة وقال :

— ٧٢٠ أل فرنك ! الحق انها ضربة قاصمة للظهور ..! لا شك أن مسيو موريس جاستون ينتف شعره الآن حزنا .. ولكن لماذا تقص على هذه الحكاية ؟ اتريد أن أمد اليك يد المساعدة للبحث عن الجواهر ..؟

وكان لوبين يتكلم بلهجة بريئة تدل اكبر الدلالة على انه خالى الذهن من هذا الحادث ولا يعرف عنه شيئا .. ولقد كان المفتش بيشومعتادا على مثل هذه المواقف فيقابل انكار لوبين بهدوء تام ثم يضرب كفا بكف ويغادر المكان لا يلوى على شى . أما بروكيه فكان مثل هذا الانكار جديدا عليه .. ولذلك احمر جهه ثم اصفر ثم احمر ثم قال :

— ماذا كنت تفعل فى ذلك الوقت ؟

فاخرج لوبين صندوق سجائره وهو يقول :

— ماذا كنت أفعل فى الوقت ! كنت فى سينما فونسيه اتفرج على احدى روايات لوريل وهاردى .. ولكن ما هى العلاقة بين ذلك وبين سرقة جواهر موريس جاستون ؟

وعلى حين بغته امسك البوليس السرى برسغ لوبين وازاح كم القميص قليلا وهو يقول :

— انى اريد ان ارى ساعدك ؟ ان مدموازيل زينيه أى سكرتيرة مسيو جاستون تقرر ان لمندوب شركة التأمين المزيف ندبا برسغه الأيمن من اثر لتحام جرح قديم . وقد فطنت الى هذا الندب حين كان المندوب يتناول منها الطرد ..

وكان هذا الندب هو الوصف الجوهرى الذى سيتيح لنا الاهتداء الى شخصية المندوب المحتال .

ونظر لوبين الى الندب الموجود فى رسخ ذراعه اليمنى واشعل سيجارة وهو صامت لا يتكلم .

كان هذا الندب خالدا لرصاصة اصابته فى احدى مغامراته . ولقد كان يحرص دائما على ان يحفيه عن العيون بدهنه مزيج خاص لكنه غفل عن اتخاذ هذه الحيطة فى ذلك اليوم ..

وتكلم لوبين فى هدوء قائلا :

— نعم .. ان فى رسغى ندبا .. ولكنى هل انا الوحيد فى العالم الذى يمتاز بهذا الوصف .؟ ما هى الاوصاف الأخرى التى ذكرتها مدموازيل زينيه عن المندوب المحتال .؟

فاجابه بروكيه وفى صوته نبررة تدل على الانتصار :

— لا شيء .. كل الأوصاف الأخرى لا اهمية لها اذ من الممكن سترها ببالتنكر .. والا هيا بنا .

— الى أين ..؟

— الى المخفر .. هل تنوى أن ترافقنى فى هدوء ؟

فقال لوبين مجيبا :

— كلا بالطبع ..

فضاقت عينا المفتش بروكيه وقال فى لهجة تهديدية :

— اتعرف ما يحدث اذا قاومت ضابط البوليس وهو يؤدى عمله ؟

— طبعا .. يصاب الضاط بلكمة تفقده الرشد .

فمد بروكيه يده فى جيبه وهو يقول :

اتريد أن أسوقك عنوة الى المخفر ؟

فقال لوبين فى هدوء :

— انى لا ارضى أن اجعلك ترتكب هذه الحماقة .. ان رجال البوليس الذين يستطيعون ان يقودوا ارسين لوبين عنوة الى المخفر لم يخلقوا بعد .. وانت تعرف ذلك حق المعرفة .. أم لعلك تريد ان تقوم بمهزلة تجعل اسمك ينشر فى الصحف بالخط العريض .. اهذا هو ماترمى اليه ..؟

— انى انفذ الأوامر التى لدى ..

— اوامر منى .. ؟

فقال بركيه وهو يقرض على أسنانه :

— هذا ليس من شأنك ..

فأجابه لوبين فى وداعة تثير غضب الحليم :

— بل انه من شأنى .. اذ كيف لا يكون من شأنى وانا الذى سأقاد الى المخفر وازج فى السجن .. وفضلا عن هذا فانى لا اصدقك ! انى موقن انك فى تصرفك هذا .. انك متأخر جدا .. كم مضى عليك من الوقت وانت تنتظرنى ؟

فقال بروكيه فى لهجة تنم عن الغضب الشديد :

— اتحسبنى جئت لكى اجعلك تستجوبنى ؟

— انى لا استجوبك وانما احاول ان اردك الى الصواب .. ولكن ليس ضروريا ان تجيب على سؤالى ما دمت تمقت ذلك ..

ونادى لوبين خادمه وقال له :

منذ متى تنتظرنى هذه السيدة الحسناء ؟

فأرسل الخادم بصره الى الساعة وقال :

— منذ الساعة الرابعة يا سيدى .

— ألم تصل اليها اية رسالة تليفونية .. او خطاب ؟

— كلا يا سيدى .

— الم يتصل بها أحد من الخارج أثناء فترة الانتظار ؟

— كلا يا سيدى .

— اذن فقد امضت الوقت كله جالسة وحدها فى انتظارى ؟

— تماما ..

ووقف المفتش بروكيه بين الرجلين ويده مدسوسة فى جيبه وقال فى وحشية :

— أصمت .. ! أصمت .. انى لن أصبر عليك أكثر من ذلك .. اتريد ان ترافقنى من تلقاء نفسك ام ترغمنى على أن أجرك على وجهك جرا ..!

فابتسم لوبين وهو يربت على كتف المفتش :

— هدئى من روعك يا مارى .. وبهذه المناسبة دعنى اذكر لك ان قوامك يعجبنى .

فصاح بروكيه فى صوت يشبه الصراخ :

— دعك من وامى !

— طبعا .. طبعا .. قد اكون مخطئا فى رأيى .. ولكنى اعتقد انه اشبه بقوام ممثلات السينما .

فكان الصوت الذى صدر من بروكيه فى هذه اللحظة اشبه شىء بزمجرة الوحش الضارى الذى يوشك ان يثب على فريسته .. ولكن لوبين استطاع ان يفهم من هذه الزمجرة الجملة الآتية :

— ارسين لوبين .. انى اقبض عليك باسم القانون !

وكان جواب لوبين على هذا الوعيد ان قال دون ان ينفد صبره :

— هذا يا بروكيه هو الشئ الذى اريد ان اقنعك بأن من

الخطأ ان تقدم عليه .. انى احبك يا بروكيه واحب ان اساعدك فلا يرضينى ان اراك تتورط فى هذه الغلطة الشنيعة وانا واقف مكتوف اليدن لا احرك ساكنا .. اصغ الى يا بروكيه .. انى استطيع ان اخبرك بما حدث .

— اما انا فاستطيع ان اخبرك بما سيحدث .

فاسترسل لوبين فى حديثه كأنما كانت هذه المقاطعة موجهة الى رجل يراه .

— حقيقة سرق مسيو موريس جاستون كما تقول .. وبعبار اصح انه سرق .. او بعبارة اكثر صحة ان سكرتيرته ظنت انه سرق .. لقد اقتحم مكتبه رجل ادعى انه مندوب شركة التامين فاستولى على الجواهر وهرب بها .. ويظهر ان السكرتيرة مصابة باضطراب عصبى جعلها تعتقد ان هذا المندوب مزيف وان الجواهر سرقت.. فما كان الا ان اتصلت بالبوليس .. فلما انتهت اليك هذه القصة حضرت الى من فورك وصدرك يكاد ينفجر بالزهو والفخار لكى تقبض على أرسين لوبين تاثرا بتلك الحكايات الخرافية التى صبها فى اذنك رئيسك المفتش بيشو .

— من قال لك ذلك ؟

— أنا .. الا تعرف ان لى قدرة على التنبؤ .. ولكن اصغ الى تتمة الحكاية .. نعم .. حضرت الى يحدوك الزهو والفخار فى نحو الساعة الرابعة بعد الظهر .. واقمت فى انتظارى حتى الآن .. ولقد كتمت أمر هذه الزيارة عن رؤسائك ومرؤوسيك لأنك تريد أن تفاجئهم بالقبض على لوبين متلبسا بسرقة الجواهر .. ولكن هذا الكتمان جعلك بمعزل عن التطورات التى حدثت فى خلال الفترة التى كنت تنتظرنى

فيها هنا .. فلو أن رؤساءك كانوا على علم بوجودك فى بيتى لاتصلوا بك ولانبأوك بما جد من الحوادث اما هذه التطورات التى لا اعلم لك بها فهى أن مسيو جاستون حيز رجع الى مكتبه وانباته سكرتيرته بالسرقة التى حدثت فاتصل على الفور بشركة التأمين فعرف أن سكرتيرته كانت منخطئة وان المندوب حقيقى غير مزيف وان الجواهر وصلت الى الشركة فى أمان وسلام وان حادث السرقة وهمى ولا وجود له . وكل ما هناك أن سكرتيرته مصابة باضطراب فى الاعصاب جعلها تعتقد بوجود ما ليس موجودا .. والخلاصة يا سيدى المفتش انه ليس هناك سبب يدعو الى القبض على ارسين لوبين او على اى انسان .

وقطب المفتش جبينه وقال :

وما الذى يجعلك تعتقد هذا ؟

واخذ لوبين بضعة انفاس من سيجارته .. ما الذى جعله يعتقد هذا ..؟ ان الأمر اوضح من ان يحتاج الى جواب .. انه فرض لم يطلقه خبط عشواء وانما يستند الى نظرية منطقية معقولة لا يمكن أن تكون فيها ثغرة تهدم منها .

فى الأحوال العادية اذا سرق اى شخص سارع بابلاغ الامر الى البوليس وبذل جهدا خارقا فى مساعدة المحققين على اداء واجبهم واقتناص السارق .. ولكن الحالة التى نحن بصددها ليست عادية .. فالجواهر التى سرقت من مسيو جاستون هى ذاتها جواهر مسروقة من قبل .. وقد وصلت اليه بتلك الطريقة الشاذة (اى بوضعها فى جيب معطفه بمعرفة شخص مجهول) لكى يتولى بيعها وتصريفها فى البلاد الاجنبية فلما انتحل لوبين شخصية مندوب شركة التأمين واستولى على

الجواهر بادرت السكرتيرة باخطار البوليس.. فلما جاء مسيو جاستون وعرف ما حدث ساء ان يتدخل البوليس في الامر لانه في هذه الحالة سيضطر الى ان يقدم الى البوليس أوصاف انعكست القضية واصبح جاستون هو المسئول بعد ان كان هو السائل.. وهو الجاني بعد أن كان المجني عليه اذ سيتضح للبوليس أوصاف الجواهر التي سرقها المندوب المزيف انها بعينها جواهر سرقت من قبل من قوم آخرين.. فكانت الخطة الوحيدة التي يستطيع موريس جاستون أن يتبعها هي ان يسحب الشكوى التي قدمتها سكرتيرته وان يؤكد للبوليس أن المندوب حقيقي غير مدع. وان الجواهر في أمان لم تسرق !

لم يكن لوبين قد عرف ان هذا حدث فعلا .. ولكنه كان موقنا أن لابد من حدوثه لانه هو المخرج المنطقي الوحيد الكفيل بانقاذ موريس جاستون من ورطته .

وقال لوبين مجيبا على سؤال المفتش بروكيه :

— الم اقل لك ان لي قدرة على التنبؤ .. نعم يا بروكيه .. ليس هناك من يريد القاء القبض علي فيمكنك رفقا بنفسك أن تنصرف حتى تثير حول اسمك فضيحة قد تؤخر ترقيتك . فانه لامر مشين ان تقبض على متهم وليست هناك تهمة . وتزج في السجن بسارق وليست هناك سرقة .. واذا كنت لا تصدقني فما عليك الا أن تتصل تليفونيا بادارة البوليس بل دعني ادير القرص نيابة عنك حتى لا تتعب اناملك الرقيقة .

ومشى لوبين الى التليفون وهم بأن يدير القرص ولكنه شعر فجأة بفوهة مسدس ملصقة بظهره وسمع صوت بروكيه يقول :

— اترك التليفون .!

وكان الصوت رهيبا منذرا بالوعيد والتهديد .. وكان لوبين حكيما يعرف ان الاذعان واجب في بعض الاحيان فترك التليفون في مكانه ودار على عقبيه مستسلما وهو يقول :

— الا تعرفين يا عزيزتي أن هذه المسدسات خطرة وقد تقتل ؟

فصاح بروكيه :

— لا شأن لك بما اعرف او لا اعرف .. اذا كانت هذه الحكاية التي تدعيها صحيحة فيمكننا ان نتأكد من الامر عندما نصل الى المخفر .. فهيا بنا فاني لست كالمفتش بيشو أصبر عليك وافسح لك مجالا تتمكن فيه من الهرب .

فهز لوبين كتفيه في استخفاف وقال :

— لا مندوحة لي عن الخضوع فهيا بنا .. كنت اتمنى ان انقذك من هذه الفضيحة الكفيلة بان تسيء الى سمعتك . ولكن مادمت مصرا على ارتكاب هذه الحماقة فليس في وسعي ان امنعك ولكن اذا طردوك من ادارة البوليس فاياك ان تسألني رغيفا من الخبز لتقتات به . هيا بنا .

وتناول قبعته فوضعها على رأسه في عناية وقال يخاطب سوزان فلوميه وهو يهم بمغادرة الدار .

— مريهم بأن يعدوا المائدة . فاني سأحضر لتناول العشاء .

ولما خرجا الى الطريق اشار لوبين الى احدى سيارات التاكسي وهي تمر امام البيت وصعد الاثنان اليها . ووضع بروكيه مسدسه في جيبه وقد اطمأن الى أن اسيره لا يمكن أن يقفز من السيارة وهي منطلقة بمثل هذه السرعة .

وشم لوبين رائحة حلوة لطيفة تملأ جو السيارة فالتفت الى المفتش ماريل بروكيه وقال له :

ـ ما هذا العطر الذى تستعملينه يا عزيزتى مارى ؟

فقال بروكيه وهو يقرض على اسنانه غضبا :

ـ انتظر حتى نصل الى المخفر فهناك ستضطر الى ان تكف عن هذا المزاح السمج .

فضحك لوبين وقال :

ـ بل ثق أنى سأجد مادة اخرى للمزاح حين اسمع رؤسائك وهم يزجرونك .

وتثاءت لوبين واسند رسه الى وسادة السيارة .. كانت السيارة من الطراز المقفل وقد اغلقت نوافذها فكانت دافئة تغرى المرء بالنوم .

واغمض لوبين عينيه اذ لم يكن لديه ما يشغله وما يدعوه الى البقاء مستيقظا .. وبعد لحظات شعر بمفاصله تتراخى وبقوته تتبدد فحاول أن يفتح عينيه ولكنه لم يكد يرى الا صورا مضطربة يتوسطها وجه المفتش بروكيه وهو مغمض العينين مثله .

وكانت الرائحة الذكية لا تزال تسطع خياشيمه .

وعلى حين فجاة لم يعد يشم او يرى أو يسمع اذ فقد الشعور وغاب عن الصواب .!

كانت على الطاولة زجاجة من الخمر وثلاث كؤوس .. وكانت الكأس الثالثة نظيفة لم يمسها أحد .

وكانت سوزان فلوميه تروح وتجيء فى ارجاء القاعة وفى مشيتها ما ينم عن انزعاجها وقلقها وذلك على الرغم من هدوء وجهها .

كان الظلام قد أرخى سدوله .. وكانت تتوقع بين لحظة واخرى ان يعود أرسين لوبين من تلك النزهة التى دعاه اليها المفتش بروكيه .. ولكن الساعة جاوزت التاسعة دون ان يعود لوبين الى داره وهو الذى أكد لها انه سيرجع فى موعد العشاء .

وتمتمت سوزان قائلة :

ـ ليت شعرى ما الذى حدث ؟

فهز بيكار راسه حيرة وافرغ كاسه فى جوفه وهو يقول :

ـ لست ادرى .. من المحتمل انه لم يستطيع التخلص من بروكيه .

فقالت سوزان :

ـ لقد قادوه الى المخفر من قبل أكثر من مرة .. ومع ذلك لم يستبقوه كل هذا الوقت .. ولو ان مكروها اصابه لبعث الى برسالة ينبئنى بما جرى .

وقال بيكار وهو يحاول ان يجد كلمة يسرى بها عن الفتاة :

ـ من المحتمل الآن أنه فى طريقه الينا .

فارتمت الفتاة على المقعد وهى تقول :

ـ لا اظن ذلك .. لا اظن ذلك .. ان قلبى يحدثنى بوقوع شر مستطير .

وساد الصمت برهة ثم قالت سوزان فجاة :

ـ لنفرض انه ليس الآن فى طريقه الينا فما الذى حدث؟ هل سجنوه ؟

لا اظن .. فلو أنهم زجوا فى السجن لانبانى بما وقع .

اذن ما الذى حدث ؟ الا يحتمل ان .. ان ..

وسكتت دون ان تتم الجملة ثم عادت تقول :

ـ ان له اعداء كثيرين .. المروج الكبير .. الا يجوز ان يكونوا قد اعتدوا عليه ؟.

ـ نعم .. ان من المحتمل ان يكون لوبين الآن جثة هامدة .

ففزعت الفتاة وقالت :

ـ لا تقل هذا .

وبعد صمت قصير عادت سوزان تقول :

ـ ولكن لنفرض انهم زجوه فى السجن وحالوا دون وصول رسالته الينا فما الذى ينبغى ان نفعله فى مثل هذه الحالة .. ؟ لقد استولى لوبين على الجواهر . ولكنها ليست موجودة معه اذ انبانى انه ارسلها طردا بالبريد .

فقال بيكار :

ـ علينا اذن ان نتسلم الطرد حتى لا يضبطه البوليس فيكون من ادلة الاتهام .

فقالت سوزان معترضة :

ـ وكيف نتسلمه ونحن لا نعرف العنوان الذى ارسل اليه .

ـ الم يرسله باسمه .؟

ـ كلا بالطبع .. بل ارسله باسم مستعار .

ـ اذن فكيف يمكنه ان يتسلم الطرد مادام الاسم المعنون به ليس اسمه فقالت سوزان تجيبه :

ـ عندما يتقدم لاستلام الطرد يتسمى بالاسم المستعار المكتوب على الطرد .. فالمسالة بسيطة كما ترى .

فاشرق وجه بيكار والتمعت عيناه فى بلاهة وقال :

ـ انها حقيقة مسالة بسيطة ولكنها لم تخطر ببالى .

وللمرة الثالثة او الرابعة ساد الصمت عليهما ثم تكلمت سوزان فجاة قائلة :

ـ يجب ان اعرف ما حدث له .!

واشعلت سيجارة واخذت تدخنها وهى تتمشى فى ارجاء الغرفة فى قلق وانزعاج ثم قذفت بالسيجارة من النافذة ومشيت الى التليفون فاتصلت على الفور بالمفتش بيشو .

وكان من حسن حظها ان وجدته فى داره .

وسمعت صوته الخامل يقول :

ـ من انت .؟

ـ انني سوزان فلوميه .

وكان صوتها هادئا يدل على قلة الاكتراث شانها فى ذلك شان ارسين لوبين اذا ما المت به الاخطار .

ـ الم تنتهوا بعد من استجواب لوبين .. ؟ الا تعلم اننا ننتظره للعشاء .. واني لا احب ان اتناول الحساء باردا ؟

فقال بيشوا فى شي من التشكك والتردد :

ـ انى لا افهم ما تقصدين ..؟

ـ بل يجب ان تفهم يا بيشو .

ولكنها ايقنت انه لا يرواغها وانه ليس فاهما حقا فاوضحت له فى ايجاز ما حدث فلبث بيشو صامتا برهة من الوقت حتى خيل اليها ان الاتصال التليفونى قد انقطع .. الا انها سمعت صوته فجاة يقول :

ولم يكن صوته فى هذه المرة خاملا .. وانما كان مليئا وقد دبت فيه الحرارة .

واشعلت سوزان سيجارة اخرى اخذت تدخنها بسرعة وفى حركات عصبية حتى اذا سمعت جرس التليفون يدق وثبت اليه مسرعة .

وسمعت صوت المفتش بيشو يقول :

— ليس لاحد فى ادارة البوليس علم بما حدث .. وانا شخصيا لم اسمع بأن المفتش بروكيه ذهب ليقبض على لوبين . فلعل هذه الحكاية احدى الخرافات التى تتسلون بها على حسابى .

فهتفت سوزان قائلة : انى لست امزح .

ولو ان بيشو راى عينيها فى هذه اللحظة لادرك انها حقيقة لا تمزح .

واسترسلت الفتاة قائلة :

— لقد خرج فى رفقة بروكيه فى منتصف الساعة السادسة ولم يعد حتى الآن .

مرت هنيهة طويلة وبيشو صامت لا يتكلم فادركت انه يفكر فى الخطة التى ينبغى عليه ان يتبعها واخيرا سمعته يقول :

— حسنا . سأحضر لمقابلتك على الفور .

وبعد ربع ساعة كان المفتش بيشو جالسا الى سوزان فلوميه يستمع الى قصتها .

وقد ايقن من حديثها أنها تجد ولا تمزح . ولكنه لم يهتد الى شىء جديد يلقى ضوءا على ما حدث .

وقال بيشو يسألها :

— ان لوبين كان فى اثر المروج الكبير .. ومما لا شك

فيه ان لوبين هو الذى سرق جواهر موريس جاستون بعد ظهر اليوم .. انى اعرف ان الجواهر سرقت . وانت ايضا تعرفين ذلك .. وهذا على الرغم من انكار جاستون وادعائه ان بلاغ سكرتيرته نجم عن سوء تفاهم وزعمه ان الجواهر وصلت فعلا الى شركة التامين .. فواضح من هذا كله ان لجاستون علاقة وثيقة بالمروج الكبير . فاغلب ظنى ان لوبين وقع فى يدى المروج الكبير .

فقالت سوزان :

— الا تعتقد انك تغالى فى الاستنتاج .؟

— يجوز .. ولكن لو أننى كنت المروج الكبير لعرفت كيف اتصرف .. كان منظورا ان يترتب على بلاغ السكرتيرة ان ترسل ادارة سكوتلانديارد أحد رجالها لمقابلة لوبين فوجد المروج فى ذلك فرصة سانحة للقبض على لوبين دون اثارة شىء من الشك فعندما خرج المفتش ولوبين فى رفقته من البيت كانت فى الانتظار على مقربة من الباب سيارة ارسلها ووقعا فى قبضة المروج الكبير او اعوانه ..

فانبرى بيكار يقول :

— اتريد ان تقول انهم قتلوا لوبين .؟

فرماه بيشو بنظرة ازدراء ولم يجشم نفسه مؤونة الاجابة على هذا السؤال وانما قال مخاطبا سوزان :

— فخلاصة الموقف الآن هى ان لوبين وقع فى قبضة المروج الكبير فبصفتى من رجال البوليس سأودى واجبى فى هذا الشأن . ولكنك تعلمين ان اجراءات البوليس طويلة وبطيئة .. اما انت فحرة مطلقة اليدين وقد يكون فى وسعك ان تصلى فى بضع ساعات الى نتائج حاسمة قد لا اصل اليها

البوليس فى بضعة أيام .

ثم نهض واقفا وهو يقول :

— انى اعتقد أن لموريس جاستون يدا فى اختفاء ارسين لوبين فتصرفى بالطريقة التى تعتقدين انها كفيلة بالوصول الى نتيجة حاسمة . ولكن يجب ان انذرك من الآن بأنك اذا ارتكبت عملا شاذا اوقعت نفسك تحت طائلة العقاب .

ثم غادر البيت راجعا الى ادارة الأمن العام .

لم يكن لدى المفتش بيشو أى شك فى ان المروج الكبير ظفر بأرسين لوبين وبالمفتش بروكيه وكان موقنا — وان اعوزه الدليل من ان تحليله لما وقع هو الحقيقة بعينها وانه لم يخطىء فى تصور التطورات التى جرت .

على ان الشىء الذى اذهله واثار عجبه هو انه كان اشد اهتماما بمصير ارسين لوبين منه بمصير مساعده بروكيه ولكن قلقه على بروكيه ما لبث ان تبدد فى الساعة العاشرة من مساء اليوم نفسه .. وذلك ان احد رجال البوليس الذين يتولون الحراسة فى غابة بولونيا رأى قدما بارزة وسط الحشائش فلما امسك بها وجذبها وجدها متصلة ببقية الجسم .

وظن الشرطى للوهلة الأولى انه امام جثة رجل ميت .. وتصور الشهرة الذائعة التى سيستمتع بها حين تنشر الصحف صورته فى صدرها وتحتها العبارة المألوفة التى تقول فيها ان هذا هو الشرطى العظيم الذى اكتشف الجثة فى غابة بولونيا .. ولكنه ما لبث أن عرف لسوء حظه انه ليس امام جثة رجل ميت .. وانما امام رجل غائب عن الصواب .

وبعد الاسعافات الأولية افاق الرجل من غيبوبته .. ولما تكلم عرف الحاضرون انه المفتش بروكيه .

وقال له المفتش بيشو حين التقى به :

— اذن فلم يقتلك المروج الكبير ؟

فقال بروكيه فى استخفاف :

— يلوح لى انه آسف على انه لم يقتلنى .

وكان بروكيه لا يزال يشعر بصداع شديد من اثر الغاز الذى استنشقه حينما ركب فى السيارة مع لوبين .. وكان فى الوقت ذاته ضيق الصدر اذ وقع فريسة لهذه الخدعة الصغيرة .

وقال بيشو يسأله فى لهجة أقرب الى التعنيف منها الى الاستفسار :

— ومن الذى كلفك بأن تقبض على أرسين لوبين ؟

فقطب بروكيه جبينه وقال :

— هل من الضرورى ان يكلفنى احد .؟ لقد سمعت بالسرقة التى وقعت فى مكتب موريس جاستون وكان لدى من الأسباب مايدعو الى الاعتقاد بأن للوبين يدا فى هذا الحادث

— ولكنك تعلم أن جاستون انكر وقوع السرقة .. وقرر ان البلاغ الذى قدم الى البوليس انما كان راجعا الى شىء من سوء التفاهم ؟

فهتف بروكيه قائلا :

— هل انكر جاستون وقوع السرقة .! لقد انبأنى لوبين بذلك ولكنى لم اصدقه .. انى لا اعرف شيئا عن التطورات التى جرت عقب تقديم البلاغ اذ انى غادرت ادارة الأمن العام

على الفور ومضيت الى مسكن لوبين ولبثت فى انتظاره طويلا .

فعاد المفتش بيشو يقول فى لهجته التهكمية التأنيبية :

— وقد اتخذت مسدسك وسيلة لارغامه على مرافقتك

فاحمر وجه المفتش بروكيه ارتباكا .. وعندما روى لبيشو تغاضى عن ان يذكر أنه فعل ذلك .. ولكن بيشو كان على علم بتفاصيل الحادث مما ذكرته له سوزان فلومبه .

وقال المفتش بروكيه مدافعا عن نفسه :

— لقد رفض أن يصحبنى فكان لابد لى من ان افعل شيئا .. ولم يكن فى نيتى ان اثير ضجة وفضيحة فى المكان فآثرت أن استعمل مسدسى على الاستعانة برجال البوليس .

يظهر انك لا تعرف أن أكبر فضيحة كانت يمكن ان تثار لو انك ذهبت به الى المخفر وارسلته الى المحكمة فذكر للقضاة انك ارغمته على مرافقتك بتهديده بمسدسك . الا تعلم أن استعمال المسدسات بهذه الطريقة محظور محرم ؟ أم لعلك تنوى ان تخبر المدير انك انما فعلت ذلك اذعانا لتعليماتى .؟

فمط بروكيه شفتيه بطريقة تدل على انه يتذمر ويزمجر .. ولكنه لبث صامتا لا يقول شيئا .

واختتم المفتش بيشو محاضراته بقوله :

— مهما يكن من أمر فان الواجب يحتم علينا ان نعثر على ارسين لوبين .. وبعد تلك الخطوة الجريئة التى اتخذتها أصبح أرسين لوبين فى نظر القانون سجينا هاربا .. ولما كنت انت الذى توليت القبض عليه فلابد أن تفعل شيئا للاهتداء الى مقره .

فقال بروكيه فى لهجة تدل على الهوان :

— وماذا تقترح ؟

ولم يكن لدى بيشو اى جواب على هذا السؤال فاكتفى بان نظر الى مساعده شذرا .. لقد اتخذ بيشو الاجراءات المألوفة التى تتخذ فى مثل هذه الاحوال فاخطر مراكز البوليس جميعها بما حدث وصدرت الاوامر بشدة بضرورة البحث عن ارسين لوبين ..

ولكن بيشو — قبل سواه — كان يعرف ان هذه الأوامر والتعليمات لن تسفر عن اية نتيجة وانها ليست الا اجراءات شكلية لا اثر لها لا سيما وان السيارة التى ركب فيها لوبين وبروكيه لم يكن ذات أوصاف تميزها عن سواها . ولم يفطن بروكيه الى رقمها حتى يصبح البحث اسهل واهون .

على ان الشئ المؤكد الذى لم يكن يحتمل شكا هو ان الرجل الذى قتل جان اوتيه وفرانسوا فوشيه هو بعينه الذى اختطف أرسين لوبين .. وكان مؤكدا أيضا ان مصيره الموت المحتوم كصاحبه . وكل رجل يعرف كثيرا لابد ان يموت سريعا .. وما من ريب فى ان لوبين كان يعرف الشئ الكثير فكانت مسألة موته أمرا مفروغا منه .

ولاول مرة فى حياته شعر المفتش بيشو بانه يحب ارسين لوبين ولا يتمنى له الموت اذ كانت وفاته فى نظره خسارة لا تعوض !

والتفت بيشو الى مساعده بروكيه وقال فى غلظة وجفاء :

— مادمت لا تأبه للاوامر والتعليمات فعليك أن تلقى بالا الى ذلك الرجل موريس جاستون وان لم يكن لدينا ضده شئ بصفة رسمية .. انى اعرف انه اقسم ان البلاغ الذى

ارسل الينا كان غلطة ادى اليها سوء تفاهم لا مبرر له . ولكن طالما سمعت الكثيرين يتنصلون من مثل هذه المسائل .. نعم . ليس لدينا دليل على أن السرقة وقعت . ولكنى أعتقد اعتقادا جازما ان الجواهر التى تزدى جاستون كانت هى ايضا مسروقة من قبل ولم تصل اليه عن طريق شريف ... فاذا لم يكن الأمر كذلك فانى على استعداد لان آكل قبعتى .. كما انى اعتقد ان لموريس جاستون علاقة وثيقة بالمروج الكبير .. هذا اذا لم يكن هو نفسه المروج الكبير . فاذا لم يكن هذا صحيحا فانى على استعداد لان آكل قبعتك انت أيضا .

فهز بروكيه راسه وقال :

ـ لا اظن انى اشاطرك هذا الرأى .. لقد اطلق الرصاص على فرانسوا فوشيه فى حى مونمارتر . وثبت من التحريات التى قمنا بها ان لارسين لوبين بيتا على مقربة من مكان الحادث يقيم فيه تحت اسم مستعار .. فالشواهد كلها تشير الى أن لوبين .

فقال المفتش بيشو مقاطعا :

ـ أتريد ان تقول ان لوبين هو القاتل ؟ كلا ، ان لوبين لا يسفك دما الا اذا دعت الضرورة الى ذلك . وليس فى الحادث الذى نحن بصدده ضرورة ملحة . نعم ان لوبين لم يقتل فرانسوا فوشيه .. ولكنى موقن أنه اختطفه عندما اطلقت عليه الرصاصة وهو فى منزله وان الرصاصة لم تصيب منه مقتلا اذ ذاك .. وانى أعتقد ان لوبين قد استطاع ان يرغمه على الكلام وانتزع منه بعض المعلومات .. وقد قتل فوشيه بعد ان أذن له لوبين بالخروج .. أو على الأقل بعد

ان فر هاربا . وانى اعتقد ايضا ان فوشيه أدلى بمعلومات جعلته يهتم بموريس جاستون .

فهز المفتش بروكيه رأسه نفيا للمرة الثانية بطريقة تدل على الاعتداد بالنفس فثار غضب المفتش بيشو لهذا التحدى الجرىء .. وزاده غيظا ان بروكيه قال له فى صلف وعجرفة :

ـ انك مخطىء .

فقرض بيشو على اسنانه وقال :

ـ حقا ..! انا مخطىء ..! اذن بالله عليه ما هى النظرية الصائبة ؟

وارتسمت على شفتى المفتش بروكيه ابتسامة هازئة جعلت المفتش بيشو يفكر فى ان يلطمه على وجهه وقال :

ـ ان لى طبعا نظرية خاصة فى هذه الحوادث ولكنى احب أن احتفظ بها لنفسى .. وساشرع فى العمل استنادا اليها .. ولكن اذا كانت لديك خطة معينة تنوى ان تتبعها فيمكنك أن تخطرنى .

فصاح المفتش بيشو فى حنق مكتوم :

ـ عندما تكون لى خطة معينة فلن اكون فى حاجة الى الاستنجاد بك .. انى اعرف أن لك دائما آراء شاذة .. ولن يدهشنى أن تجيئنى يوما لتنبئنى بأن مدير ادارة الأمن العام هو نفسه المروج الكبير .

ونهض المفتش بروكيه واقفا واخذ يصلح من هندامه فى غير اكتراث والمفتش بيشو يرقبه فى غيظ وغضب .

ـ قد تكون لى آراء شاذة ولكنها على أى الأحوال لن تكون أكثر شذوذا من آرائك أنت ! ولكن دعنى أصارحك بمسألة

هامة وهى انى ساقبض على ارسين لوبين ، فاذا كانوا قد عينوك كبيرا للمفتشين لانك اخفقت فى القبض على لوبين فمن المؤكد انهم سيعينوننى مديرا للامن العام ما دمت سانجح فى القبض عليه .

فصاح المفتش بيشو فى لهجة تهكمية :

– انت تعين مديرا للامن العام .! ولك مثل هذا الاسم المضحك !

فرفع بروكيه راسه فى أنفة وكبرياء وقال :

– وما الذى يضحكك فى اسمى .! الا تعلم ان الجد الأكبر لآل بروكيه كان من ضباط نابليون الذين اشتركوا فى معركة واترلو ؟

فقال بيشو مزمجرا :

– اذن فمن المؤكد انه هو الذى كان سببا فى هزيمة نابليون !

الفصل الثامن

عندما وقفت السيارة بأرسين لوبين كان فى حالة تشبه الغيبوبة .. كان يسمع ويرى ولكن بطريقة غامضة لا يستفيد فيها مما يرى او يسمع ، لقد شعر بالسيارة وهى تقف .. وسمع اصوات خافتة تتكلم ثم خيل اليه انهم حملوه ومشوا به على طريق مرصوف بالحصباء . ولقد حاول ان يفتح عينيه ليرى ما حوله فوجد الأمر شاقا واضطر ان يغمضهما على الفور . ثم ما لبث ان غاب عن صوابه وغرق فى غيبوبة جديدة .

ولكنه استفاق للمرة الثانية واحس انه جالس على مقعد خشبى ثم شعر بحبال تشد وتعقد حول ذراعيه وساقيه . كما شعر بابرة تغرز فى ذراعه .

وثقل جفناه واخذا ينطبقان ووجد صعوبة كبيرة فى رفعهما ولكنه حين فتح عينيه لم يكن يرى شيئا .

واخذ يسائل نفسه عما اذا كانت الغرفة غارقة فى الظلام او انه اصيب بالعمى ..! ولكنه لم يستطع ان يفكر طويلا فى الأمر لياخذ بأحد الرايين فقد كان هناك رجل يوجه اليه بعض الأسئلة .

كان الصوت يصدر من احشاء الظلام الضارب اطنابه حوله .. وكان صوتا رقيقا خاليا من العنف والشدة .. واغرب من هذا كان صوتا مالوفا لديه .

والقى اليه صاحب الصوت أسئلة كثيرة . وخيل الى لوبين انه أجاب على هذه الاسئلة كأنه آلة ميكانيكية لا راى لها . ولكنه نسى ما اجاب به .. كان يسأل .. وكان يجيب .. ولكنه لم يعد يذكر شيئا من الأسئلة او الاجوبة .

ثم غالبه النعاس فاستغرق فى النوم وانقذه نومه من هذه الحالة القريبة من الغيبوبة .

وحين صحا من نومه كانت راسه ثقيلة وكان يحس صداعا كان يحطمها ولما فتح عينيه ترا ت له الغرفة مظلمة . ولم يكن يرى شيئا مما حوله . ولكن بصره ما لبث ان ألف المكان فاخذ يرى ويفهم انه جالس فوق مقعده مشدود الوثاق .

وسمع صوتا على مقربة منه يقول :

– اذن فقد استيقظت .. ولكن فليطمئن بالك اذ تكون هى اليقظة الاخيرة .

وأحنى لوبين رأسه وارسل بصره فى أرجاء الغرفة ، واستطاع ان يرى من محتوياتها ما غاب عنه فى المرة الاولى حين كان بصره لا يزال مشدوها مشردا .

راى فى وسط السقف مصباحا كهربائيا يرسل ضوءا ضعيفا يكفى لانارة الغرفة وتبديد ظلماتها .

ولم يكن المكان الذى القى نفسه فيه غرفة فى منزل .. وانما غرفة فى باخرة او قارب كبير وتبين من صوت المحركات انه فى لنش بخارى كما ادرك من الانوار والجسور التى يمر بها القارب انه فى نهر السين .

وكان الرجل الذى وجه اليه الحديث يرتدى بذلة مخططة وبين شفتيه غليونه تفوح منه رائحة التبغ الردىء .. وكانت نظراته تنم عن القسوة والشر .

وجعل لوبين يتفرس فيه برهةوقال :

ـ الى أين تذهب بى ؟

فضحك الرجل وقال :

ـ سارسلك الى القاع لتتفرج على الاسماك .. ولست ادرى اذا كان وجهك الجميل سيروق للاسماك ، ولكنى ارجو أن تعتاد عليه بمرور الزمن فلا تنفر وتشمئز اذا أرادت ان تنهشه !

فقال لوبين فى غير مبالاة :

ـ أهذا هو انتقام المروج الكبير ؟

فقال الرجل فى عظمة وكبرياء :

ـ انك انما تتحدث عن المروج الكبير نفسه .

فرماه لوبين بنظرة تنطوى على الازدراء وقال :

ـ أنت المروج الكبير ..! اتحسبنى لا اعرفك ؟ انك

تدعى كانسيه وفى وسعى ان اسرد عليك جانبا من سوابقك .. نعم لقد سبق ان اتهمت بالسرقة مع الاكراه ثلاث مرات .. واتهمت مرة بحمل السلاح دون ترخيص .. واتهمت مرتين ..

فقاطعه كانسيه مقاطعا :

ـ حسنا .. حسنا .. انى أعرف هذه السوابق فلا حاجة بك الى سردها على .. نعم .. اننى لست المروج الكبير .. ولكنى انا والمروج الكبير بمثابة شخص واحد .. فاذا قلت لك انى انا المروج الكبير فلا تحسبن انى اغالى . نعم .. ان المروج الكبير لا يستطيع ان يفعل شيئا دون مساعدتى . ولولاى لما قامت له قائمة .

ـ طبعا لولاك لما قتل فرانسوا فوشيه ؟

ـ فأحنى كانسيه راسه قائلا :

ـ نعم .. أنا الذى قتلت فرانسوا فوشيه .. كانت عملية متقنة بديعة .. كان مفروضا ان اقف عند الباب فى انتظاركما أنتما الاثنين .. ولكنى حين رايت فوشيه يخرج من بيتك وهو يجرى خشيت ان افقد اثره فاكتفيت بأن اناله فى هذه المرة على أن ارجع اليك فيما بعد .. فأسرت خلفه بالموتوسيكل وافرغت فى ظهره رصاص مسدس .

ثم ضحك واردف قائلا :

ـ انى اصارحك بكل هذا لانى اعلم ان الأموات لا يتكلمون ولك ان تتنبىء السمك بما تشاء فهو لن يحفل بأقوالك .. لقد قتلت فرانسوا فوشيه لانه واش تمام .. والآن سأقدم ارسين لوبين العظيم طعاما للسمك . انى أعلم ان فى باريس

مئات يتمنون لو نزلوا عن عشرة اعوام من اعمارهم مقابل القيام بهذه المهمة ، ولكن الاقدار شاءت ان تخصنى بهذا الشرف العظيم .

– وكان لوبين يعلم حق العلم ان كانسيه مصيب فيما يقول .. لقد مرت به سنوات ولا هم له الا ان يناوىء المجرمين فيرسل الى السجن منهم كل من يقدم على الجريمة بدافع من الجشع او النذالة .

على ان الشىء الذى ادهشه هو سرعة البت فى مصيره، كان يعتقد ان المروج الكبير لن يرسله الى الموت الا بعد ان يعرف منه المكان الذى خبأ فيه الجواهر التى سرقها من موريس جاستون .

وقال لوبين :

– ولكن الا تعلم ياصاح انك بتقديمى الى الأسماك ستقدم اليها جواهر تبلغ قيمتها ثلاثة أرباع مليون فرنك ؟

فضحك كانسيه طويلا ثم قال حين تملك روعه :

– انك مخطىء فى هذا أيها الصديق العزيز .. اننا نعرف ان الجواهر ارسلت طردا باسم اندريه شوتان يحفظ بشباك بريد ميدان لاكونكورد أنك انت الذى أفضيت الينا بهذه المعلومات فليس على المروج الكبير الا ان يقدم نفسه الى مكتب البريد منتحلا اسم اندريه شوتان ليتسلم الطرد

وتصلبت نظرات ارسين وبين .

وخيل اليه وهو يسمع هذه الكلمات انه اصيب بطعنة فى قلبه واخذ ينحى على نفسه باللوم الشديد اذ كتم عن سوزان نلوميه الخطة التى اتبعها .. فلو أن سوزان كانت تعلم مقر الجواهر لسارعت الى استلامها حين رأى نفسه يخرج فى رفقة مفتش البوليس .

ولكن كيف افضى بهذه الاعترافات ..؟ ومتى كان ذلك ..؟ وهل تبلغ به الحماقة هذا الحد الذى يجعله يشرط فى سرد بمثل هذه السهولة ؟

وجعل يكدح ذاكرته محاولا ان يستعيد ما مر به .

انه يذكر انه ركب السيارة فى رفقة المفتش بروكيه .. ويذكر هذه الرائحة الذكية .. التى ملأت خياشيمه .. لقد ظنها عطرا يفوح من ثياب المفتش .. ولكنه مالبث ان ادرك انها رائحة غاز مخدر مالبث ان افقده الوعى .. ومن المؤكد ان بروكيه ايضا غاب عن صوابه . ولكن المروج الكبير لم يكن فى حاجة الى بروكيه وانما كان فى حاجة الى ارسين لوبين فاكبر الظن انهم القوا بالمفتش على قارعة الطريق واحتفظوا بلوبين وحده .

واخذ لوبين يسائل نفسه عما اذا كانوا قد عذبوه ليرغموه على الافضاء اليهم بمخبأ الجواهر ؟

كلا .. انهم لم يأخذوه بأى عمل من اعمال العنف .. انه لا يذكر انهم أساءوا اليه او عذبوه .

وعلى حين فجأة ذكر تلك الابرة التى غرزت فى ذراعه وذلك الصوت الرقيق الذى يلقى اليه الاسئلة من احشاء الظلام .. لقد نسى الآن هذه الاسئلة كما نسى الجواب عليها. ولكنه يذكر شيئا واحدا هو انه كان فى حالة نفسية لا تعين على الكذب والمراوغة .. كان يخيل اليه انه خلق بلا رأى ولا ارادة . وغلب على ظنه انهم سألوه عن الجواهر فافضى اليهم بأمرها فى غير تردد .

واشرق ذهنه بغتة فادرك سر الابرة التى غرزت فى ذراعه ، لقد حقنوه بمخدر خاص يلغى الارادة ويجرد الانسان

من القدرة على الكذب ويجعل لسانه مجرد اداة للافصاح عما يجول فى خاطره .

وتكلم لوبين فجأة قائلا :

— اذن فقد حقنتمونى بالاسكوبولامين ؟

فهرش كانسيه وراء اذنيه وقال :

— يخيل الى ان هذا هو الاسم ، لقد خطر للمروج الكبير أن يحقنك بهذه المادة ، اننا يا عزيزى لوبين مجرمون من طراز جديد ، طراز يستخدم العلم فى تحقيق اغراضه .

وأرسل الوبين بصره من كوة الغرفة فراى أن القارب بدأ يمر تحت الجسر المقام على نهر السين والمعروف باسم جسر بونابارت فقال فى نفسه :

— يا لها من خاتمة ! رجل مثلى عاش للمغامرات والنضال والكفاح يلقى طعما سهلا سائغ للاسماك !

ثم التفت الى كانسيه قائلا :

— اعطنى سيجارة من فضلك .

فتردد كانسيه برهة ثم أخرج من جيبه علبة سجائرة فتناول منها سيجارة وضعها بين شفتى لوبين واشعلها ثم ارتد الى مقعده فقال له لوبين :

— شكرا .

وكانت يداه مربوطتين معا أمامه فاستطاع أن يستعمل الوثاق فعرف على الفور أن الرباط محكم وثيق وانه جعل بطريقة يشتد فيها اذا ما حاول أن يحله او يخرج يده منه .

ونظر لوبين فى ساعته المصدودة حول رسغه فوجدها تشير الى ما بعد الساعة العاشرة بقليل .

وقال يسأل كانسيه .

— فى اى يوم   ثم ضحك وأردف قائلا :

نفس اليوم الذى اختطفت فيه .

— أتحسبنا من الحماقة بحيث تحتفظ بك اسبوعا او اسبوعين ؟ ان بقاءك على قيد الحيا ةخطر داهم . فالخطة المثلى تقضى بسرعة التخلص منك .

اذن فقد مضت خمس ساعات فقط منذ اختطفوه وقد ظن لوبين انه قد مضى به دهر طويل . وان المخدر الذى حقن به افقده الوعى يوما او ايام .

وارتسمت على شفتى الوبين ابتسامة خفيفة ، منذ خمس ساعات اختطفوه ، ثم حقنوه بالمخدر ، ثم استجوبوه فعرفوا ان الجواهر مودعة فى مكتب بريد ميدان لاكونكورد، والمفروض ان يمضى المروج الكبير الى المكتب على الفور ليتسلم الطرد زعما انه هو اندريه شوتان ، ولكن مكاتب البريد لا تسلم الطرود لأصحابها بعد الساعة الخامسة .. فمن المستحيل اذن ان يكون المروج الكبير قد استلم الطرد فعلا لأنه انما اختطف قبيل الخامسة بقليل .

اذ نفطرد الجواهر لا يزال مودعا فى مكتب البريد فى انتظار من يتسلمه .. فاذا تمكن لوبين من الهرب ..

وهز لوبين كتفيه فى استخفافا .. اذا تمكن من الهرب ..! وهل يمكن ان يهرب والأمر يقرب من الاستحالة المادية ؟ هاهو ذا مشدود الوثاق وعلى مقربة منه قطعة ضخمة من الحجر مربوطة بسلسلة ولا شك ان الغرض منها ربطها الى جسمة حتى اذا القى فى النهر غاص الى القاع واستحال عليه الصعود .. فهل مع كل هذه الاحتياطات

يمكن ان يهرب لكى يمضى الى مكتب بريد لاكونكورد ليتسلم الجواهـــر !

يا له من حلم جنونى !

ولكن من عادة لوبين ان يشد على ذراعه خنجرا صغيرا يضعه فى غمض من الجلد . ولطالما انقذه هذا الخنجر من المأزق الحرجه . فكم من مرة جردة اعداءه من مسدسه فاذا ما ظنوه اعزل لا يملك دفاعا عن نفسه اذ به على حين فجأة يخرج الخنجر من غمده فيصبح سيد الموقف .

واخذ لوبين يحرك أصابعه فى بطء وبطريقة لا تثير الالتفات حتى تمكن من أن يلمس ساعده ليستوثق من ان الخنجر لايزال فى موضعه وانهم لم يفطنوا اليه حين حقنوه بالمخدر .. ولكنه مالبث ان ذكر بانه احس بوخزة الابرة فى ذراعه اليمنى على حين أن الخنجر مشدود على الـذراع اليسرى ..

واستطاع اخيرا ان يلمس ذراعه .

واشرق وجهه والتمعت عيناه .

كان الخنجر لا يزال فى مكانه الأمين .. وكان رجاؤه الوحيد معلقا بهذا الخنجر .

ونهض كانسيه واقفا وقال له :

ـ لقد قرب الوقت .

وتناو ل الحجر الثقيل المشدود الى السلسلة واخـذ يدحرجه على الأرض حتى ادناه من قدمى لوبـــين فربط السلسلة فى الحبل المربوطة به القدمان .

ثم قال يخاطبـــه فى وحشـيـة :

ـ ارم هذه السيجارة .

فاخذ لوبين منها نفسا طويلا ثم القاها على الأرض .. وتفرس فى عينى كانسيه ثم قال له :

ـ لا تنس أن تأكل سمكا فى اليوم الذى ستقاد فيه الى المشنقة بسبب فعلتك هذه .

فهز كانسيه كتفية فى استخفاف وقال :

ـ سأفعل ذلك اكراما لك .! وسأزهو اذ ذاك عـلى الناس أجمعين بانى أكلت من السمك الذى التهم ارسين لوبين العظيم .

وحمل لوبين على ظهره ومشى به الى طرف القارب .

وكان لوبين لا يزال على عهده رابط الجاش هادىء النفس لايعبأ بالخطر المحدق به كأنما لن يصبح طعاما للاسمـاك بعـد لحظات قليلة .

كان لا يزال يبتسم .. وكان وجهه هادئا كانما لا يقدر حرج الموقف .

ولكـنه مع ذلك كان حزينــــا .

لم يكن حزينا لأنه سيموت .. وانما كان حـزينا لانه سيموت قبل ان يعرف السر الرهيب .

كان يشتهى أن يعرف من هو المروج الكبير .

أيكون المروج الكبير هو موريس جاستون نفسـه ؟ ام يكون شخصا آخـر ؟

كان هذا هو السر المستغلق عليه . ومن أجل هذا وحده كان حزينـــا .

وأرسل لوبين بصره الى النهر .. وأصغى الى هـديره الجبـــار .

لم يكن ذلك الهدير فى نظرة أشبه بقصف المدافع التى تنذر بالموت والدمار .. وانما كان شيئا لطيفا جميلا ذكره بقصيدة شعرية تغنى فيها ناظمها بلقا حبيبين على ضفة نهر فى ليلة مقمرة ..

رفعه كانسيه .. والقاه الى النهر من فوق سياج القارب وشق السكون صوته وهو يقول :

– وداعا يا ارسين لوبين ..!

فاجابه لوبين متهكمـــــا :

– وداعا يا زوجتى المحبوبة ..! الى اللقاء فى الجحيم .!

واصطدم جسمه بالماء فانشق عن هوة صغيرة ما لبثت أن انطوت فغاب فى احشائها ..!

الفصـــــل التاســـع

عندما كان ارسين لوبين يمرق فى الهواء متجها صوب الماء خذ نفسا طويلا ملأ به رئتيه .

وحين وصل الى سطح الماء وانطوت عليه اللجنة هـوى به الثقل الحجرى الى قاع النهر فاستقر عليه وقد اشتدت القيود حول كاحليه بضغط الحجر .

وفى نفس تلك اللحظة كان قد بـــدأ يلوى يده اليمنى ليدنيها على قدر الامكان من ذراعه اليسرى حتى يتمكن من ان يلمس بأصابعه مقبض الخنجر المشدود على ذراعه .

كان الموقف رهيبا .. كانت قفزة الى الموت ارسل اليها وهو مشدود الوثاق لا يملك حراكا ولا خلاصا من قيوده ..

كان يخيل اليه انه يحلم وان الحلم فظيع مخيف . ولـكنه

لم يكن حلما وانما كان حقيقة قاسية بقيت ذكراها عالقة بذهنه مـــدى الحيـــاة .

على ان اشد ما يملأ النفس فزعا هو يقينه الراسخ فى ان نجاته أمر مستحيل .. وأن الموت محتوم لا مهرب منه.

ولكن لوبين لم يكن يفكر فى حرج موقفه وفى الموت الذى يترصده وانما كان يفكر فى شىء واحـد هو الطريقة التى يعالج بها حرج هذا الموقف .

واخذ لوبين يلوى يديه ويدنى كلا منهما من الأخرى حتى انغرزت الحبال فى لحمه . ولكن أصابع يـده اليمنى استطاعت أن تلمس ساعده الايسر .. وشعر بصـــلابة الخنجر تحت أنامله .

وكان هذا الخنجر هو الحلقة الوحيدة التى تربطـــه بالحياة ..! كان هذا الخنجر هو الرجاء الوحيد الذى يمكن ان يتعلق به .. كان الحد الفاصـل بين الحياة والموت .

لقد انقذه الخنجر من الموت فى عدة مرات سابقة كثيرة.

فهل ينقذه هذه المرة ايضا ..؟

وفى أناة وحذر اخذ يحرك يده .. وكان يتحاشى التعجل والاسراع خشية ان يأتى حركة طائشة فينزلق الخنجر من غمده ويرسب فى قاع النهر .. ولو حدث هـذا لاستحال عليه ان يهتدى اليه ..!

وكان ضغط الحبال على يده قد أخذ يشتد ويتضاعف حتى كاد الدم ينحبس عنهما الى درجة خيل اليه معهـا ان يده شلت ولم تعد تقوى على الحركة .. وكان المجهـود مضنيا هائلا .. وعلى رغم برودة الماء كان جبينه ينصبب عرقا .. وكانت الدماء وشيكة بأن تنفجر من عروقه ...

كان خفقان قلبه قد اشتد حتى سمعت ضرباته .

كان النفس الطويل الذى اخذه قبل ان يغيب فى الماء هو عدته الى النجاة .. كان حابسا انفاسه. يتزود من ذلك النفس فى بطء واقتصاد .. ولكن مثل هذه المحاولة لا يمكن ان تدوم الى الابـد .

خيل اليه ان رئتيه فرغتا من الهواء وانه يوشك ان يختنـق .

كان يريد ان يتنفس .. كان يريد اى هواء نقيا جديدا

وأضناه الجهد الخارق الذى بذله .. وغشيت عينيه سحابه من الظلام واخذت تجتاح ذهنه موجة من الركود والذهـول .

كانت كل جارحة من جوارحه .. كان كل عـرق فى صدره ينبض ويصرخ طالبا الهواء النقى .. كان بدنه ينادى طالبا الحرية .. الانطلاق من هذه القيود .. طالبا الهواء النقى ..!

ومرت على لوبين نحو ثلاث دقائق وهـو تحت سطح الماء .. يكتم انفاسه ويجاهد فى سبيل الوصول الى الخنجر

واخيرا انطوت اصابعه على المقبض .. انطوت عليه فى شدة كأنها قدت من الفولاذ .

وجذب الخنجر واخرجه من غمده .. وانحنى وقطع الحبال التى تربط قدميه ثم بسط جسمه واخذ يحرك ساقيه فارتفع فوق سطح المـاء .

وهناك أنبطح على ظهره وفتح فمه ليملأ رئتيه بالهواء النقى الذى كان ينشده .

واذ ذاك عرف انه رجع الى الحياة .. وشعر بأن دماءه تجـددت .

لو ان رجلا سواه كان فى مثل هذا الموقف لخانته اعصابه ولفتح فمه وهو تحت الماء ليستنشق الهواء . ولكن لوبين رجل يمتاز بأعصاب من حديد وبقدرة فذة على التحكم فى ارادته .

لقد انتصر ... ونجا من الموت .

ولما استرد قوته وهدات اعصابه اخذ يقطع بالخنجر بقية الحبال المشدودة الى جسمه والى رسغيه .

وكان التيار يدفعه الى الامام وهو مستلق على ظهره لاهم له الا استنشاق الهواء .

ولكنه فيما بعد ذكر هذه اللحظة الرهيبة من حياته .. لقد مرت به لحظات كثيرة جاهد فيها فى سبيل الحياة وكافح الموت كفاح الابطال .. ولكنه فى هذه اللحظة كان قد رأى اهول معركة مرت به فى حياته .

وانتبه لوبين فجأة على صوت مجاديف تضرب المـاء على مقربة منه فلما تلفت رأى قاربا كبيرا يشق طريقه فى النهر على مقربة منه فأسرع يسبح مبتعدا عن القارب فلو انه بقى فى مكانه لاصطدم به القارب فحطم جمجمته وارسله ثانيـة الى القـاع .

وبلغ لوبين الشاطىء فانتقى منه مكانا منعزلا وصـعد اليه .. واسرع الى سيارة من سيارات التاكسى كانت تقف على مقربة من المكان .

فلما رآه السائق ورأى الماء يقطر من ثيابه قال له :

ـ انك مبتـل .!

وقد نطق السائق بهذه الجملة بلهجة يفهم منها السامع

انه اكتشف اكتشافا عظيما ما كان سواه ليصل اليه .

وابتسم لوبين وقال فى لهجة تدل على الاعجاب الشديد وان كانت تخفى فى طياتها تهكما لاذعا :

ـ اصبت يا صديقى ..! لقد اهتديت الى السر ..! كنت اشعر بأن هناك شيئا شاذا ولكنى لم اكن ادرى ما هو على وجه التحديد الى أن جئت انت فأمطت اللثام عن اللغز الغامض وانبأتنى انى لابد أن اكون مبتلا ..؟ أتعتقد ياصاح انى مبتل بالماء ام بالويسكى ؟

فعبس السائق وبانت الريبة فى عينيه وقال فى صراحة :

ـ هل انت ثمل ..؟

فهز لوبين راسه نفيا ثم اردف يقول :

ـ كلا . لم ابلغ هذه الدرجة بعد . ولكنى اريد ان اذهب الشانزليزيه .. واذا كنت تخشى على سيارتك أن يتلفها الماء فاعلم انى على استعداد لأن اعوضك عما أفسد.

وما كان السائق ليقبل هذا العرض لولا انه تبين فى ثياب ارسين لوبين أناقة جعلته يعتقد انه ازاء شاب من الاغنياء فرضى بأن ينقله فى سيارته وهو يطمع فى ان ينال تعويضا كبيرا عن وسائده ومقاعده التى ستبتل على الرغم منه .

وارتمى لوبين على مقعد السيارة وقال للسائق :

ـ لقد استنتجت انى مبتل بالماء فهل يمكنك أن تستنتج ايضا ان علبة سجائرى قد ابتلت هى الأخرى وانى فى حاجة الى سيجارة ادخنها ؟

وضحك السائق لهذا المزاح وقدم الى لوبين سيجارة واشعلها لـه .

واخذ لوبين يدخن سيجارته فى تلذذ واضح وقد سره انه نجا من الموت وعرف للمرة الأولى فى حياته ان الحياة جميلة حلوة ..!

ثم اخذ يفكر فيما هو مقدم عليه .. ان المروج الكبير يعتقد انه الان جثة هامدة .. لقد شدوا وثاقه وعلقوا فى قدميه ثقلا حجريا ضخما وخرجوا به الى بقعة من نهر السين تتسع وتشتد فيها اللجج ثم القوه فى الماء وراوه واللجة تنطوى عليه وهو يغوص الى القاع فهل يمكن بعد ذلك ان يعتقد احد انه لايزال على قيد الحياة ..!؟

لو انه ذهب الان الى المروج الكبير وقال له انه ارسين لوبين لانكر قوله ولم يصدقه .

والمروج الكبير يعلم الآن سر الجواهر .. ويعلم انها مودعة فى مكتب بريد لاكونكورو باسم مسيو اندريه شوتان. فالمفروض ان يكون اول عمل من اعمال المروج الكبير فى الجواهر .

ولم يكن فى نية لوبين أن يدع هذا المشهد الطريف يفوته!
الصباح هو أن يذهب الى مكتب البريد ليستولى على طرد

كان فى نيته ان يذهب فى الصباح الباكر الى مكتب البريد ويتوارى هناك ليرى المروج الكبير حين يحضر للاستيلاء على الطرد .

ولما اقترب لوبين من بيته فى الشانزليزيه راى رجلا وفتاة يخرجان من البيت فنزل من السيارة ودنا منهما وتمتم وهو واقف خلفهما يقول :

ـ اتبحثان عن المتاعب ؟

واستدارت سوزان فلوميه على عقبيها وحملقت فى

وجهه .. ومرت بها بضع لحظات وهى مذهولة مشـدوهة كأنما تنكر ما ترى عيناها .

وفى اللحظة التالية ارتمت على صدره واخذت تعانقـه وتقبله فى لهفة غير عابئة بالمارة .

أما بيكار فادرد ريقه ثلاث مرات ثم اخذ يتحسس لوبين فى دهشة كأنما يريد ان يطمئن الى انه لا يـرى شبحا من الاشـــباح ..

ثم قال متســـائلا :

ـ انك مبتل . فما السبب الرئيسى ؟

فضحك لوبين وأوما الى سائق السيارة قائلا :

ـ ان فيكتور يعتقد انى سقطت فى المـاء .. وهـو كما ترى استنتاج مدهش فارجوك ان تنقده الف فرنك جزاء له على هذا الذكاء الخـارق .

وتأبط ذراع سوزان وصعد بهـا الى المسكن وتبعهمـا بيـــكار بعـــد لحظـــات .

ولما استقروا فى قاعة الاستقبال امسكت سوزان بكتفيه وقالت لـــه :

ـ اين كنت يا عزيزى ..؟ وما الذى حدث ؟

ـ هل اقلقك غيـــابى ..؟

ـ انك تعرف الجواب فلم تسألنى ؟

فاجتذبها الى صدره وقبلها .. ثم قال :

ـ انى اعرف ان القلق استولى عليك . ولكن الى اين كنتما تنويان ان تذهبا ..؟

فأجابته وهى لا تزال بين ذراعيه :

ـ كنا تنوى ان نذهب الى زيارة موريس جاستون ..

كانت هذه هى الخطة الوحيدة المثلى التى يجعل بنـــا ان نتبعها . لقد ذكرت الى قبل التقائك بالمفتش بروكيه انك استمرت من جاستون كمية من الجواهر فلما طالت غيبتك رجح لدى ان لهذا الحادث علاقة وثيقة باختطافك .

فقـــال بيـــكار :

ـ ثق يا رئيسى انى كنت ســـأعرف كيف أرغمه على الـــكلام .

وابتسم لوبين وقال :

ـ انى لا اجهل مقدرتك فى هذا الشأن يا بيكار .. ومع ذلك فان الفرصة سانحة لم تضع .. نعم . يمكننى ان استفيد من خبرتك لارغم جاستون على الكلام .

ولبث لوبين صامتا بضع لحظات وهو يقلب هذه الفكرة فى ذهنه ويدرس محاسنها ومساوئها .

ـ ولكن لا .. لا ضرورة الان لاتباع هذه الطريقة .. ان الخطة الأخرى أصلح من هذه فاذا اخفقت امـــكننى ان استعين بك على حل العقدة التى فى لســـان جاستون .

وحملت اليه سوزان قدحا من الشراب واعدت له حماما ساخنا يزيل عنه هذه البرودة التى تمشت فى مفاصله .

وعلى اثر ذلك اخذ يقص عليها ما حدث .

وكانت القصة رهيبة جعلت سوزان ترتعد وتعض على شفتيها حنقا وخوفا .. وكان يخيل اليها ان الخطر لايزال يهدده وكأنما كانت تتصور ان لوبين الان غائص ـ فى قاع النهر يجاهد فى سبيل الحياة .. اما لوبين نفسه فكان يفكر فى الحادث على انه ماض قد انتهى أمره وزال ..

وحين فرغ لوبين من حديثه كانت قد رجعت الى شفتيه

ابتسامته المعهودة والى نظراته جذلها المعروف والى حديثه تهكماته اللاذعة التى يتحلى عنها حتى فى أحرج الاوقات ..

واختتم لوبين حديثه بقوله :

— والخلاصة هى انى لازلت فى عملية من الأمر .. من هو المروج الكبير .؟ هذا سؤال لا جواب لدى عنه .. حتى الان .. ولكننى على الأقل اعرف انه سيذهب غدا الى مكتب بريد لاكونكورد .. واعرف الاسم الذى سيقدم به .. قد اكون مخطئا فى هذا الافتراض ولكنها نظرة منطقية لا احسبها بعيدة عن الصواب .. وهو معذور اذا اقدم على استرداد الجواهر المودعة فى مكتب البريد لانه يعتقد انى الان جثة هامدة وأن ليس هناك من سيكون فى انتظاره عندما يتقدم ليستلم الطرد . ولكنى ساكون هناك لارحب به على طريقتى الخاصة .

فقالت سوزان تسأله :

— اتريد منا ان نصحبك .؟

فهز لوبين راسه نفيـــــا وقال :

— كنت اتمنى ذلك . ولكنى ساكون فى حاجة اليكما فى مكان آخر هل نسيت انى اريد اشترى لك فستانا جديدا؟ فمن اين لى المال اذا دعوتك الى مرافقتى .. انى ساكون فى مكتب البريد وساقبض على المروج الكبير لاقدمه الى المفتش بيشو هدية سائغة . ولن يكون فى وسعى أن أسترد الجواهر لانها ستكون دليل الاثبات الذى سيحاكم المروج الكبير استنادا اليه .. فهل من المعقول أن يخرج لوبين من هذه الصفقة بلا شىء ؟

ثم اخذ يوضح لهما ما كان يجول فى خاطره .

كانت الخطة غاية فى البساطة . فاذا ما قبض على المروج الكبير ورافق المفتش بيشو الى ادارة البوليس اغتنم فرصة سانحة واتصل تليفونيا بسوزان فلوميه فاخطرها باسم المروج الكبير فتسرع توا الى منزله وفى رفقتها بيكار فيستوليان على ما قد يكون فى خزانته من جواهر اخرى معدة للشحن أو اموال يحتفظ بها لشراء المسروقات التى يحملها اليه اللصوص .

ان لوبين ليس فاعل خير يقبض على المجرمين الخطرين ويطهر منهم الأرض حبا فى التطهير .. ولكنه يعمل ذلك خدمة للانسانية من ناحية وخدمة لنفسه من ناحية اخرى.. فالاستيلاء على الجواهر والاموال بمثل هذه الطريقة هو فى نظره اقل جزاء يمكن أن يخص به نفسه .

وفى اللحظة التى فتح فيها مكتب بريد لاكونكورد ابوابه فى الصباح كان ارسين يتخطى العتبة ويستند بمرفقيه على الرخامة المثبتة الى شباك قسم ارسال البرقيات .

وانبأ لوبين الموظف بانه يريد أن يرسل برقيـة الى مدينة امبوبو فى غنيا الفرنسية . ولكنـــه يريد أن يعرف اولا الفيات المختلفة لارسال البرقيات بالطرق المختلفة سواء كانت طرقا مباشرة وطرقا ملتوية .

ولم يكتف لوبين بهذا السؤال وانما خرج منه الى سؤال آخر فقال انه يريد ان يعرف الاجور الخاصة بارسال البرقيات اثناء الليل او اثناء عطلة الاسبوع .. كما يريد ان يعرف اجور البرقيات المستعجلة .. أو بعبارة اخرى انه يريد ان يعرف جميع الفئات الخاصة بارسال اى نوع من البرقيات الى مدينة امبوبو فى غنيا الفرنسية .

وكان طبيعيا ان يستغرق القاء هذه الاسئلة طويلا .. وكذلك الاجابة عليها .

وقال الموظف انه يعرف المدن الهامة فى مستعمرة غينيا الفرنسية ولكنه يذكر انه لم يسمع من قبل اسم مدينة امبوبو . ولم يدهش لوبين لهذا الانكار لانه هو نفسه لم يكن قد سمع من قبل باسم هذه المدينة ! وكل ما هناك انه اراد ان يخترع اسما لكى يجعل الموظف يضيع وقتا طويلا فى البحث فكانت كلمة امبوبو اول لفظ طرأ على باله والله يعلم ان ليس فى الدنيا باسرها مدينة تحمل هذا الاسم .

وغاب الموظف لحظات ثم عاد يحمل مجموعة من السجلات والدفاتر وانكب فوقها يقلب صفحاتها بحثا عن مدينة امبوبو

وفرغت السيجارة التى كان يدخنها لوبين فاشعل سيجارة اخرى .

كان لوبين قد تنكر بطريقة تتسم بالبساطة فاكتفى بان ركب تحت انفه شاربا صغيرا على طريقة رجال الجيش ووضع على عينيه نظارة سوداء .. وكان قانعا بهذا التنكر البسيط اذ كان يعلم ان المروج الكبير موقن من انه قد مات. فاذا ما رآه الآن لم يخطر له باى حال من الاحوال ان هذا الرجل العسكرى الهيئة انما هو ارسين لوبين ولم يجتشم نفسه مؤونة التفرس فيه او الاسترابة فى امره .

وبعد بحث غير قصير رفع الموظف راسه عن السجلات المكدسة امامه وقال فى يأس :

— من الغريب انى لم اجد اية اشارة الى مدينة امبوبو ؟ أواثق انت من ان فى هذه المدينة مكتبا للتلغراف ؟

فقال لوبين فى بساطة :

— طبعا ..

ثم اردف يقول :

— او على الاقل المكتب موجود فى مدينة بانجى التى تبعد نصف ميل عن مدينة امبوبو .

وللمرة الثانية رجع الموظف الى دفاتره وسجلاته ليبحث عن مدينة بانجى كما بحث من قبل عن مدينة امبوبو !

واشعل لوبين سيجارة ثالثة وأخذ يدخن وهو يرسل بصره الى الباب فى غير اهتمام من حين لآخر .

وعلى حين بغتة اتسعت حدقتاه ولبث جامدا فى مكانه ! رأى عميلا مبكرا يدخل المكتب .. وقد رآه بجانب عينيه. وسمع وقع اقدامه وهو يعبر المكان متجها الى شباك الرسائل المحفوظة على قيد خطوات منه .

وخاطب العميل المبكر الموظف بقوله :

— الديك شىء باسم شوتان ؟

فقال الموظف يسأله :

— ما هو الاسم الاول من فضلك ؟

— اندريه .. اندريه شوتان .

فبحث الموظف برهة فى دولاب ذى عيون قائم الى جانبه

وفى هذه اللحظة تكلم موظف قسم البرقيات وقال للوبين شيئا ولكن لوبين لم يسمع حرفا واحدا مما قيل له .. واذا كان قد سمع فهو لم يفهم شيئا !

وقدم الموظف الى العميل المبكر طردا عرف فيه لوبين على الفور الطرد الذى اودعه الجواهر .

وتناول العميل الطرد ودار على عقبيه وهم بأن يخرج

وفى هذه اللحظة كان لوبين قد اقترب منه ووضع يده

على كتفه فى رفق وهو يقول :

— أتريد أن ترى شبحا بعث من اعماق النهر ؟

ودار الرجل على عقبيه فاذا هو المفتش ماريل بروكيه !

الفصل العاشر

اعتاد الكتاب عندما يصفون موقفا حفل بالمفاجأة ان يقولوا ان البطل تخاذلت أوصاله ... وتصبب جبينه عرقا وجحظت عيناه .. واضطربت ساقاه .. وان الرعدة سرت فى بدنه فأخذ يهتز ويرتعش كأنه ريشة فى مهب الرياح .. واعتادوا أن يقولوا انه استند الى الجدار حتى لا يسقط على الارض .. الى غير ذلك من الاستعارات والتشبيهات التى يدللون بها على هول المفاجأة وشدتها .

ولكن المفاجأة التى نحن بصددها كانت من الشدة بحيث لا يمكن ان تكون مثل هذه الاوصاف معبرة عن عمقها ومداها .. كانت مفاجأة من طراز جديد لا عهد للناس به .. فلو اننا اتخذنا هذا الأسلوب فى وصفها لقصرنا فى الوصف ولما وفيناه حقه .

لهذا نكتفى ان نقول انها كانت مفاجأة فذة .

ولقد نال اثرها الرجلين .. فذهل لوبين وذهل بروكيه .

ولكن كان لوبين هو الذى استطاع ان يسترد ثباته أولا ويبادر صاحبه بقوله :

— ماذا تفعلين هنا يا عزيزتى مارى ..؟

وكان صوته رقيقا .. ولاذعا .

ولعق بروكيه شفتيه دون أن يحير جوابا .

وتكرر السؤال للمرة الثانية .. ولكن لم يكن ارسين لوبين هو الذى كرره .

ذلك أن المفتش بيشو برز من داخل مكتب البريد وكان هو الذى تولى اعادة السؤال على مرؤوسيه .

كان بيشو واضعا يديه فى جيوبه فى حركة تدل على الخمول والكسل .. ولكن عينيه كانتا تلتمعان بشكل يدل على انه قد سمع .. ورأى .. وفهم كل شىء .

— نعم ماذا تفعل هنا ..؟

وحين سمع بروكيه هذا السؤال دار على عقبيه ونظر الى بيشو اذ لم يكن قد رآه وهو يبرز من خلف المنصة .

ومرت لحظات حاول فيها بروكيه ان يلتمس صوته اذ خانته الكلمات وغاب عنه ذكاؤه .

وكان ارسين لوبين يبتسم .

ونظر لوبين الى المفتش بيشو قائلا :

— الم اخبرك يا بيشو ان المروج الكبير سيحضر الى هذا المكتب ليسترد جواهره ؟

ثم ارسل بصره الى بروكيه قائلا :

— ان الانسيه هو الذى انبأنى بذلك .

وقال بروكيه :

— انى لا اعرف عما ذا تتحدث .

ولاح عليه انه يبذل جهدا خارقا فى التسلط على اعصابه وانه يحاول ان يقدح ذهنه ليجد لنفسه مخرجا من هذا المأزق الذى بوغت فيه وهو فى حالة تلبس .

واسترسل بروكيه قائلا :

— لقد بلغنى انه توجد هنا جواهر مسروقة .

فقاطعه بيشو فى صوت هادىء يقول :

— وممن عرفت هذه الحكاية .؟

ـ من رجل هدتنى اليه النظرية التى كونتها لنفسى عن هذا الحادث ، الم تقل لى ان فى وسعى أن اتابع ابحاثى ؟.

ـ وما اسم هذا الرجل ..؟

فقال بروكيه فى صوت مبحوح :

ـ هذه حكاية طويلة .. لقد التقيت به لأول مرة .

وكان يتكلم فى بطء محاولا ان يتلمس من الوقت ما يعنيه على سبك قصته .. ولكنه كان يعلم علم اليقين ان المراوغة لن تجديه نفعا سيعجز عن تضليل هذا الشيطان لوبين وستر الموقف .

وكان لوبين يرقبه وهو يبتسم .. وكانت ابتسامة جريئة هادئة .. ابتسامة اثارت غيظ بروكيه وضاعفت ارتباكه الى درجة جعلته يضطرب فى كلامه ولا يجد وسيلة الى تنسيق القصة الملفقة التى يريد ان يطلقها ليدافع بها عن نفسه .

واستطرد بروكيه قائلا :

ـ لقد قابلته فى الليلة الماضية .. ولكن ما الذى جاء بكما الى هذا المكتب .. هل .

فقال لوبين يجيبه فى صوت وديع :

ـ لقد جئنا لنقبض على المروج الكبير .

فتظاهر بروكيه بالدهشة وقال :

ـ المروج الكبير .؟ واين هو .. ؟ متى حضر ؟

فابتسم لوبين وقال :

ـ انه موجود الآن فعلا ..!

فتلفت بروكيه حواليه باحثا فبادره لوبين بقوله :

ـ يظهر انك لم تفهم فيحسن بى أن أوفر عليك مؤونة

البحث .. ان المروج الكبير هو المفتش بروكيه .

فقطب بروكيه جبينه وقال فى خشونة :

ـ هل جننت ..؟

وكان بروكيه فى خلال هذا الحوار يرسل يده الى جيبه الخلفى فى حركة خفيفة غير محلوظة بطريقة لا تثير شيئا من الشك كانما لا يفكر فى اخراج مسدسه وانما فى اخراج صندوق سجائره .

وفطن لوبين الى هذه الحركة .. ولكنه فطن اليها بعد فوات الأوان بجزء اقل من الثانية .

راى لوبين لسانا من النار ينبعث من الفوهة .. وسمع دويا هائلا يصم الآذان .. ولكنه استطاع لحسن حظه ان ينحرف قليلا عن مرمى النار فطاشت الرصاصة ولم تصبه

وتردد بروكيه هنيهة ثم تحول الى المفتش بيشو وصوب اليه مسدسه وهم بان يطلق عليه النار ولكن قبل ان يضغط اصبعه الزناد كان لوبين قد ارسل ساقه الى ظهر بروكيه فى رفسة هائلة كانه صادرة من قائمة بغل هائج فاندفع بروكيه الى الامام وسقط على وجهه وطار المسدس من يده.

وفى اللحظة التالية كان لوبين قد انقض فوقه واشتبك الرجلان فى عراك عنيف .

تمدد على الأرض وهو يكاد يكون غائبا عن الصواب .

ولكن هذا العراك لم يدم الا قليلا اذ ما لبث بروكيه ان

واسرع المفتش بيشو الى بروكيه فقيده بالاصفاد .

وعند ذلك فطن الى ان لوبين لايزال راقدا على الارض فادركه القلق واسرع اليه وهو يقول :

ـ هل جرحت ..؟

فهز لوبين رأسه وقال فى مرارة :

ـ كبريائى هى التى جرحت ..!

واخرج من جيبه سيجارة اشعلها واخذ منها نفسا طويلا ثم نهض واقفا وهو يقول :

ـ نعم .. كبريائى هى التى جرحت .. هذه اول هزيمة حاقت بى فى حياتى . فقال بيشو معترضا .

ـ وان هى الهزيمة باصاح وقدظفرت بالمروج الكبير .. انها هزيمة فكرية يا صاح .. ان المفتش بروكيـه هـو آخر رجل كان يمكن ان يخطر على بالى انه هو المروج الكبير لقد كنت على استعداد لأن أعتقد ان مدير البوليس هو المروج الكبير .. بل كنت مستعدا لأن اعتقد انى انا نفسى المروج الكبير .. ولكن لم يخطر ببالى مطلقا أن بروكيه هـو هـذا المروج .

ثم هز كتفيه فى استخفاف وقال :

ـ ومع ذلك فان الأمر يبدو طبيعيا .. لقد كان موجودا فى السجن حين مات جان أونيه مسموما .. فمركزه هوالذى مهد له السبيل الى الفتك بالسجن بذلك الطريقة الغامضة.

فقال بيشو :

وبصفته مساعدا لى استطاع ان يطلق النار على فرانسوا فوشيه وانا استجوبه .. كنت واقفا أستجوب فوشيه وظهرى الى الباب .. وكان بروكيه واقفا خلفى على مقربة من الباب .. فمن المؤكد انه حين رأى فوشيه يهم بأن يدلى بالاعتراف الخطير اخرج مسدسه واطلق عليه النار . وفى نفس الوقت دفع الباب بقدمه فاصطفق . وحين التفت وجدته قد تحول الى الباب وفتحه فكان الخاطر الطبيعى الذى يمكن

أن يخطر بالبال فى مثل هذه اللحظة هو ان القاتل اطلق النار ما خلال فجوة الباب ثم أوصده وفر هاربا . وأن بروكيه وثب الى الباب ليلحق به ولقد استطاع ان يخدعنى بادعائه انه رأى القاتل وهو يفر هاربا . ومع ذلك فالأمر كما تقول انت وهو أنه كان محالا ان تتطرق الريبة الى نفسى من ناحيته ..

وساد الصمت برهة ثم اردف المفتش بيشو قائلا :

ـ ولكن خبرنى .. ألست أنت الذى اختطفت فرانسوا فوشيه ..؟

ـ فضحك لوبين وقال :

ـ تبالك يا بيشو ..! اتنوى أن تظل طول العمر تسىء بى الظن بهذا الشكل ..؟

فتنهد بيشو ولم يقل شيئا .

وتناول الطرد وفتحه فرآه مملوءا بالجواهر التى يخطف سناها الابصار فقبلها بين أصابعه ثم وضعها فى جيبه كان يعتقد انه سيجد العلبة ملأى بجواهر مزيفة اذ كان موقنا ان لوبين لا يخدم العدالة فلما القاها جواهر حقيقية تفرس فى وجه لوبين وقال يسأله :

ـ ما هى غنيمتك من هذه اللعبة ..؟

وكان صوته حافلا بالريبة وسوء الظن .

طاهر الذيل .

فابتسم لوبين والتمعت عيناه ثم قال فى لهجة ناسك

ـ الفضيلة هى غنيمتى .. انى اريد ان أكفر عن ذنوبى

فهز بيشو رأسه وقال :

ـ انى أعرف طريقتك فى التكفير عن الذنوب ..!

ثم اشرق ذهنه فجاة فقال :

ـ سأذهب الى المخفر بيروكيه ثم انطلق على الفور الى مسكه .. انى اعلم ان المروج الكبير يحتفظ فى مسكنه بكميات كبيرة من الأموال والجواهر المسروقة .. كما اعلم ان فى نيتك .. ان تستولى على هذه الجواهر والاموال .. ولكنى لن امكنك من بغيتك .. ولهذا اريد منك ان تصحبنى فلا تفارقنى لحظة واحدة حتى اطمئن انك لن تسطو على مسكن بروكه وتسلب ما فيه .

وضحك لوبين وقال :

سأرافقك لكي يطمئن بالك .. فهيا بنا الى سيارتى

وفى اثناء الطرق اصيبت السيارة بعطب .. او هذا على الأقل ما ذكره لوبين للمفتش بيشو حين وقفت بهم السيارة فجاة .

وهبط لوبين من السيارة وتظاهر بالانهماك فى اصلاحها وبعد ربع ساعة من العمل المتواصل رفع لوبين راسه وقال

ـ ينقصنى لاتمام اصلاحها سلك صغير فانتظرنى حتى اتى به من هذا الجراج القريب .

ومضى لوبين الى الجراج .. ولم يفطن بيشو (الا بعد فوات الوقت) الى ان لوبين غاب فى الجراح وقتا اكثر مما يقتضيه شرا السلك . فحين رجع سأله قائلا :

ـ لماذا غبت ..؟

فكان جواب لوبين :

ـ كنت أتحدث فى التليفون مع سوزان .

فقطب بيشو جبينه وقال :

ـ وما الداعى الى هذا الحديث ..؟

ـ كنت اريد أن أطمئن على صحتها .

فتفرس فيه بيشو وفى عينيه نظرات تدل على الريبة وسوء الظن .

كان يعلم ان لوبين اتصل تليفونيا بسوزان لينبئها بأن المروج الكبير هو بروكيه وليعهد اليها بالسطو على المسكن .

نعم .. ان بيشو موقنا كل اليقين من ان هذا هو الذى حدث ولكنه لم ير فائدة فى ان يصارح لوبين بما يجول فى خاطره فتنهد ولم يقل شيئا ..!

القسم الثانى

الزوج الهارب

الفصل الأول

كان ارسين لوبين دائما محط الأنظار وهدف لا يعرف زيارات لا يعرف أصحابها . فما تكاد تنقضى ايام حتى يطرق بابه زائر لم تسبق له به معرفة من قبل .

ولكن هؤلاء الزائرون المجهولون يأتون حاملين اليه همومهم ومتاعبهم وحكاياتهم .. فهذا لص يعتقد انه بلغ من الذكاء والعبقرية درجة تبيح له ان يسأل لوبين ان يتخذه شريكا له .. وهذه مرأة مترفة ضاع كلبها الصغير فجاءت تتوسل الى لوبين أن يبحث عنه ويرده اليها .. وهذه فتاة عاملة فى متجر جائته تنشده المغامرات حتى يقال عنها انها كانت فى يوم من الايام عاشقة او صديقة لأرسين لوبين .

وكان للوبين صبر طويل يحمله على الاصغاء الى كل ما يحمله اليه الناس من هذيان وثرثرة .

وفى ذلك اليوم جاءت تطرق بابه امراة بدينة الجسم

ترتدى ثيابا قديمة تدل على الفقر والفاقة فعرف لوبين حين رآها انها لا يمكن ان تكون من صاحبات الكلاب الضائعة لانها فى فقرها ما كانت لتقتنى كلبا .. ولا يمكن أن تكون من طالبات الغرام لانها فى دمامة وجهها لا يمكن ان تفكر فى الحب ولا يمكن أن تكون من الساعيات الى المغامرات لانها لثقل حركتها وضخامة بدنها لا يمكن ان تقوى على النضال والكفاح .

ولما وقعت عليها انظار لوبين تمنى لاول مرة فى حياته لو استطاع ان يقنعها بانه ليس لوبين وان لوبين مات منذ زمن طويل .

وقالت المراة :

– اننى أدعى مدام شوزان .

– وأنا ادعى ارسين لوبين .

– لقد حضرت اليك يا سيدى بخصوص زوجى .

فقال لوبين يسالها فى تادب :

– وماذا من شأن زوجك ؟

فقالت مدام شوزان فى ايجاز :

– لقد رايته .. لقد رأيته فى الليلة الماضية كما أراك الآن

فقال لوبين فى استغراب :

– عجبا ..؟ هل رايته ؟

– نعم .. كما أراك الآن هل تعرفه يا سيدى ؟

– لم يسبق لى هذا الشرف من قبل .

– لقد هجرنى زوجى منذ اكثر من عام دون أن يودعنى بكلمة واحدة على الرغم من كل ما فعلت من أجله .. أنا التى لم اغضبه يوما بجملة قاسية .. حتى على الرغم من عودته

قبيل الفجر وحتى على الرغم من انقطاعه عن العمل واضطرارى الى ان ارهق نفسى بالعمل لكى أطعم أولادنا .. ان له يا سيدى اولاد يرتدون ثيابا رثة بالية .. وأنا اطعمهم واكسوهم .. ويساعدنى فى ذلك أخى الكبير .. وهذا بالرغم من ان أخى لا يكتسب الاقليلا وله زوجة طريحة الفراش .. والمسكينة مصابة بشلل جزئى وهى تبكى طول الليل وتقول ان داءها لا شك سيقضى عليها .. والبير يا سيدى شاب مسكين وعنده من الأولاد ..

فتنهد لوبين فى يأس وقنوط وقد ادرك انه لو ترك مدام شوزان تسترسل فى حديثها لدعته الحال الى ان يخصها بعام او عامين حتى تفرغ من سرد تاريخ حياتها وحياة أخيها وحياة زوجته لكى تحدثه عما جاءت من اجله .. فقال يقاطعها :

– وماذا تريدين منى أن أفعل ..؟

فرجعت الى قصتها الأولى قائلة :

– لقد رأيته يا سيدى فى الليلة الماضية .. رايته بعد ان هجرنى عاما كاملا دون ان يودعنى بكلمة واحدة .. لقد خطر لى عندما طالت غيبته انه مات وقضى نحبه . ولكنى رايته بالأمس على قيد الحياة .. لقد هجرنى النذل بعد كل مافعلت من اجله فى اليوم الذى سبق هجره لى قلت له «اسمع ياشوان .. يجب أن تعلم انى اكمل زوجة فى العالم وان من المستحيل ان تجد زوجة خيرا منى .. وانى أتحداك ان تقول غير هذا .. » وهذا صحيح يا سيدى لانى اكد واكدح وارهق نفسى بالعمل على الرغم من انى مصابة بالروماتيزم .. وقاك الله يا سيدى من داء الروماتيزم .. انه داء وبيل وفى بعض

الأحيان يشتد على الألم الى درجة تجعلنى أكاد أبكى .. ولقد حدث لى مرة وانا فى ميدان جورجيه ..

وللمرة الثانية تنهد لوبين يأسا وقال :

— اذن فقد سبق لك ان ذهبت الى ميدان جورجيه ؟

— طبعا .. وفى ميدان جورجيه قابلت زوجى .. النذل الناكر للجميل .. الذى هجرنى دون ان يودعنى بكلمة واحدة

فقال لوبين مكملا :

— .. بعد كل ما فعلت من أجله .

— نعم .. وعلى الرغم من انى ارهق نفسى بالعمل لكى اطعم أولادنا .. انهم ستة .. كنت ذاهبة الى بيت فى ميدان جورجيه لأقوم بغسل الثياب وتنسيق البيت لقاء أجر يدفعه الى شابان يقيمان فى هذا البيت .. وفى طريقى التقيت صدفة بزوجى .. ولكنه لم يكد يرانى حتى أطلق ساقيه للريح هاربا منى وانا أكمل الزوجات وخيرهن .. لقد هجرنى النذل بعد كل ما فعلت من اجله .

فقال لوبين فى صوت خافت :

— ودون أن يودعك بكلمة واحدة .

ثم رفع صوته قائلا :

— ولكن .. ألم تركضى خلفه ..؟

— طبعا .. على الرغم من انى مصابة بالروماتزم .. ان الروماتيزم يا سيدى داء وبيل . وفى بعض الأحيان يشتد على الألم ..

فقال لوبين مكملا وهو يتنهد يأسا :

— .. الى درجة تجعلك تبكين .

— تماما .. نعم . جريت خلفه فدخل البيت المجاور

للمنزل الذى اترددعليه وأوصد الباب فى وجهى فلما قرعت الجرس لم يجبنى احد .. ولكنى لبثت هناك وقتا طويلا ادق الجرس فى غير فائدة .. لقد جعلنى النذل اجرى، وهو يعلم انى مصابة بالروماتيزم وان الروماتيزم داء وبيل يسدد

فقال لوبين مكملا فى لهجة ميكانيكية :

— .. المه الى درجة تجعلك تبكين .

— تماما .. ولقد حذرنى الطبيب من الجرى .. ولما يئست من ان يلبى رنين الجرس قلت لنفسى : « حسنا .. ساكون أمكر منك يا نشوان » وفى صباح اليوم التالى عدت الى المنزل مبكرة ودققت الجرس ففتح زوجى الباب دون ان يخطر له انى انا الطارقة فما رآنى حتى أشتد غضبه واخذ ينهال على باللوم والتعنيف كانى لم اكن اكمل الزوجات وخيرهن وكانى استحق منه هذا الهجر وانا التى ..

— .. لم اغضبه يوما بكلمة قاسية .

— نعم لم اغضبه يوما بكلمة قاسية . لقد صاح بى يقول : « فليكن .. انى لا ابالى بما افسد .. انى اعلم انك تقيم مع امراة تضحك منك وتبتز نقودك وتهجرنى بعد كل ما فعلت من اجلك ودون ان تترك لى شيئا من المال » فقال لى « هاك بعض المال وفى وسعى ان انقذك سواه اذا لزمت الصمت ولم تلاحقينى فان ظهورك كفيل بأن يفسد خطتى » ثم دس فى يدى ثلاث أوراق مالية ودفعنى الى الخارج واوصد الباب ، فحضرت اليك على الفور .

فحمد لوبين ربه لأن الظواهر انبأته بأن الحكاية وشيكة على الانتهاء وقال : ولماذا حضرت الى ؟

وكان يعلم أنه بالقاء هذا السؤال سيفتح أمام مدام شوان بابا جديدا للثرثرة .. ولكن الموقف كان يحتم عليه ان ينطق بهـذه الجملة .

غير ان مدام شوان لم تعد الى ثرثرتها وانما دست يدها فى صدرها واخرجت من بين طيات ثيابها ثلاث اوراق مالية دفعتها اليه قائلة :

— من أجل هذا حضرت اليك .

وتناول لوبين اوراق البنكنوت منها ونشرها فوجد أن كلا منها من فئة الخمسة جنيهات فقال لها :

— اهذه الأوراق التى اعطاها لك ؟

— هى بعينها يا سيدى . وهذا هو ما اثار ريبتى . لقد خيل الى ان زوجى لا يمكن ان يحصل على مثل هذا القدر من المال الا اذا جاءه عن طريق غير شريف .

— ما هى مهنة زوجك .؟ اعنى ما هى المهنـة التى كان يزاولها قبل أن يهجرك على الرغم مما فعلت من اجله ودون ان يودعك بكلمة واحدة .؟

— لم يكن له عمل ثابت يا سيدى . فى بعض الأحيـان كان يشتغل سمسارا لمراهنات الخيل .. سمسارا غير رسمى .. وهذا كما تعلم يحظره القانون . وفى بعض الاحيان كان يختلف الى نوادى السباق ولست أدرى ما الذى كان يفعله هناك . ولكن ما أعلمه على وجه التحديد هو ان من المستحيل ان يحصل على مثل هذا القدر من المال بطريق شريف .. وانا يا سيدى لا أحب أن يكون زوجى رجلا غير شريف مادام فى الدنيا هذا العدد الهائل من رجال البوليس وما دام له ستة أطفـال .

— ما هو العنوان الذى رأيته فيه ؟

— المنزل رقم ٦ فى ميدان جورجيه . انه مجاور للمنزل الذى اتردد عليه والذى يقيم فيه الشابان اللذان يعهدان الى بتنسيق مسكنهما انهما يا سيدى شابان ظريفان دائما يسألاننى عن الروماتيزم فانى ..

— ولكن لوبين نهض واقفا اذ لم يكن فى نيته ان يصغى الى حديثها عن الروماتيزم وقال :

— حسنا .. اتركى لى هذه الأوراق وهاك غـيرها . ويمكنك ان تمرى على بعد بضعة ايام لأنبئك بما فعلت .. هذا اذا استطعت ان أفعل شيئا .

لم يعلق ارسين لوبين أهمية على الحديث الذى دار بينه وبين مدام شوان اذ لم يكن فيما ذكرت ما يسترعى الانتباه خلافا بين زوجين أدى الى فرار الزوج ثم اندماجه فى عمل فخيل اليه وهو يشيعها الى الباب ان الأمر لا يعدو ان يكون غـير مشروع .

ولكنه فى تلك الليلة بالذات عرف انه كان مخطئا فى ظنه وان ذلك الحديث القصير قد تكشف عن مغامرة رهيبة مملوءة بالحوادث المفزعة .

فحين رجع لوبين الى داره عند منتصف الليل لقيه البواب بقـوله :

— ان عمال التليفون قد فرغوا من تصليح الجهاز .

فاستقل لوبين المصعد وهو يفكر فيما سمع وقد استعجبه بعمال التليفون الذين يخفون الى تصليح الأجهزة حتى دون ان يستدعيهم احـد ..؟

ووقع فى روعه على الفور ان هؤلاء العمال اعداء حضروا

الى مسكنه لغرض خاص .

وكان لوبين خبيرا بمثل هذه الزيارات التى لا داعى لها .. وتوقع ان يكون هؤلاء «العمال» قد دبروا له مكيدة تؤذن بالقضاء عليه اذا ما دخل مسكنه فرأى على سبيل الحرص والحذر ان لايدخل من الباب العام فتسلق سلم الحريق ووثب منه الى الحمام واخرج مصباحه الكهربائى وارسل من ضوئه شعاعا بدد الظلمات ومكنه من ان يرى ما حل بمسكنه .

كان كل شىء على عهده المألوف. ولكن لوبين الدقيق البصر ايقن على الفور ان شطرا كبيرا من المقاعد زحزح من موضعه ثم أعيد مكانه .. ولكن الذى اعاده لم يكن دقيقا فى رده الى مواضعه الأصلية .

وحين بلغ لوبين المسكن من الداخل وجد خلفه صندوقا مقفلا يبرز منه سلكان يتصلان بمجمع التيار الكهربائى ويمتد منه الى الباب .

وكان واضحا انه بمجرد فتح باب المسكن يهتز السلكان .. وكان من المؤكد ان هذا الاهتزاز سيؤدى الى اتصال كهربائى تكون من نتيجته انفجار القنبلة المخبأة فى الصندوق!

واخذ لوبين يسأل نفسه عن السبب الذى يدعو الى اغتياله وقد كان فى ذلك الوقت « عاطلا » عن العمل لا يشتغل بشىء من المغامرات ..

واسرع لوبين الى الصندوق فقطع السلكين المتصلين بالمجمع الكهربائى ثم حمله فى حذر وحرص وذهب به الى نهر السين فألقاه فى جوفه اذ ليس كالماء ما يفسد مفعول القنابل .

ولما رجع ثانية الى مسكنه وفحص محتوياته ايقن ان

الشىء الوحيد الذى سرق منه انما هو اوراق البنكنوت الثلاث التى اخذها من مدام شوان .

وفى الصباح التالى حين طالع الصحف عرف ان مدام شوان لن تشكو بعد اليوم من الروماتيزم ..!

الفصل الثانى

رأى بوليس النهر جثة مدام شوان طافية على سطح الماء فاخرجها ولكن لم تكن هناك فائدة من اجراء الاسعافات الأولية لانها كانت قد فارقت الحياة . ولم يكن هناك اثر يدل على العنف الا ذلك الكدم الظاهر بجبينها .. ولكن البوليس علل هذا الأثر بأن من المحتمل ان يكون ناجما من اصطدامها بعمود من اعمدة الكبارى .

وفى نفس اليوم جا المفتش يزور ارسين لوبين كما كانت عادته اذا ما أحدقت به الملمات واستهل بيشو حديثه بقوله :

— لقد جئت اسألك عما فعلت فى مسكن المروج الكبير .. اعنى المفتش بروكيه .

— لا شىء طبعا اذا كنت فى رفقتك .

— ولكنك تحدثت تليفونيا . مع اعوانك طبعا فحين فتشنا البيت لم نجد شيئا من الجواهر او المال فابتسم لوبين وقال:

— الا يكفيك يا عزيزى بيشو انى اتيتك بالمروج الكبير حتى لتحاسبنى على كمية لا تذكر من الجواهر ..!

ثم غير لوبين دفعة واحدة مجرى الحديث بأن قال :

وعلى فكرة .. هل عرفت بحكاية تلك المرأة المدعوة مدام شوان والتى وجدت جثتها طافية فى نهر السين ..؟ فقال المفتش بيشو مجيبا :

— نعم .. وقد ثبت انها انتحرت .. لقد هجرها زوجها .

منذ عام فكانت مضطرة الى ارهاق نفسها بالعمل لكى تطعم أطفالها الستة .. وقرر جيرانها انها كانت بادية الاهتياج فى الليلة الماضية. وكانت تتحدث فى كلمات مقتضبة عن مقابلتها لزوجها وانه طردها وابى ان يعود اليها . فاذا كان ذلك الكلام صحيحا ففيه ما يفسر اقدامها على الانتحار . واذا لم يكن صحيحا فهو دليل على ان عقلها قد اختبل .

وابتسم لوبين واخذ نفسا طويلا من سيجارته ثم قال :

— نعم .. ان كلامها صحيح .. ولكنه لا يفسر اقدامها على الانتحار .. بل هو على النقيض يثبت انها لم تنتحر .

ولو ان شخصا اخر هو الذى القى بهذا الرأى لسمع من بيشو ما لا يرضيه .. ولكن بيشو كان معتادا على ان يسمع من لوبين آراء تبدو شاذة عجيبة للوهلة الأولى ثم لا تلبث الأيام ان تبرهن على صحتها وقال بيشو متسائلا : وكيف عرفت ذلك ؟

— لأن مدام شوان زارتنى صباح الأمس وقصت على نفس هذه الحكاية فوعدتها بان امد اليها يد المعونة .

— اذن فانت تعتقد انها لم تنتحر وانما قتلت ؟

فهز لوبين كتفيه فى استخفاف وقال :

— لقد وعدتها بان اهتم بالأمر واحاول أن اجلو ما غمض من اللغز وطلبت اليها ان تحضر لزيارتى بعد يومين او ثلاثة .. فاذا كان قد بلغ من ثقتها بى ان تحضر لمقابلتى لتفضى الى بمتاعبها فان مما يثير الغرابة أن تعمد الى الانتحار عقب خروجها من عندى دون ان ينتظر نتيجة بحثى .

— هل جاء فى حديثها ما حملك على الاعتقاد بانها مهددة بالموت ؟

— كلا على الاطلاق .. ولكنى أعتبر نفسى ملوما ومسؤولا عما أصابها .. لقد قتلت عقب خروجها من عدى واكبر ظنى أن مصرعها انما كان بسبب زيارتها لى .. وانا نفسى كدت أصبح جثة هامدة فى الليله الماضية .

— حقا .؟

فضحك لوبين وقال : نعم . ويمكنك أن تلمسنى حتى تتأكد من انى لست شبحا ..

— وهل تعتقد ان محاولة اغتيالك ترجع الى ما قصته عليك مدام شوان .؟

— يجوز .. كل ما هنالك انى وجدت قنبلة خلف باب مسكنى فلو لم ادخل من النافذة لانفجرت القنبلة ونسفتنى.

كان المفتش بيشو يذكر دائما أن للوبين فضلا عظيما عليه اذ طالما أماط اللثام عن الغاز غامضة وظل مختفيا وراء الستار وترك بيشو ينتحل المجد لنفسه . فالآن ولوبين يشير الى أن مدام شوان ماتت مقتولة لامنتحرة كما يعتقد البوليس فهذه فرصة سانحة يحسن به ان يغتنمها لكى يظفر بقضية جديدة يحلها له لوبين فيضيف بذلك مجدا جديدا الى اسمه .

ولكن كبرياءه كانت تحول دونه وسؤال لوبين فى صراحة عن سر مصرع مدام شوان فقال مراوغا :

— ان البوليس يعتقد ان مدام شوان انتحرت فاذا كنت أنت تعتقد أنها قتلت فهذا شأنك اذ ليس فى وسعنا ان نأخذ بهذه النظريات مادامت ليست لدينا معلومات تدعونا الى تعديل رأينا .. الا اذا كنت تنوى ان تمدنا بهذه المعلومات.

ففكر لوبين برهة .. وكانت طريقته فى امداد بيشو بالمعلومات ان طلب هو نفسه معلومات بيشو ! فقال له

متسائلا : ما الذى يعرفه البوليس عن زوج مدام شوان ؟

لا شىء اكثر من انه من لصوص القمار .. يلاعب الاغنياء ويغشهم ويسرق أموالهم .. وفى كثير من الاحيان يندس فى القطارات المسافرة الى ميادين السباق ويغرى الركاب بالمراهنة غير المشروعة .. وكان من الممكن أن يقدم الى المحاكمة لولا انه لا يختار ضحاياه الا من السكارى فاذا ما افاقوا نسوا اوصافه وعجزوا عن ارشاد البوليس اليه .. فهل فى هذا ما يتفق مع نظريتك ؟

فابتسم لوبين وقال :

ـ صدقنى يا بيشو لذا قلت لك انى لم اكون نظرية بعد . ولكنى اعدك بأن اطلعك على رايى اذا ما انتهيت الى راى معين .

والواقع ان لوبين كان صادقا فيما قال .. لقد افضى الى بيشو بكل ما يعرف ولم يكتم عنه الا شيئا واحدا هو عنوان البيت الذى شاهدت فيه مدام شوان زوجها . ولم يفطن بيشو الى هذه الحقيقة الا بعد ان رجع الى ادارة الامن العام . وعجب كيف غفل عن ان يسال لوبين عن هذا العنوان . ولكن عزاءه الوحيد هو انه كان موقفا من أن لوبين لن يذكر له هذا العنوان مهما الح عليه بالسؤال .

وما انصرف بيشو حتى استقل سيارة وامر السائق بأن يذهب به الى ميدان جورجيه .. وهناك اخذ يتمشى على الافريز حتى انتهى الى البيت رقم ٦ فتقدم اليه فى غير تردد وقرع الجرس .

لم يكن لدى لوبين أية معلومات تمكنه من انتهاج خطة اخرى كل ما يعلمه ان هناك زوجة قتلت .. وأن هناك زوجا

هاربا .. وأن هذا الزوج الهارب يقيم فى المنزل رقم ٦ بميدان جورجيه فكانت الخطة العملية الوحيدة هى ان يسعى الى دخول هذا البيت ليتبين ما يجرى وراء الابواب المغلقة ..

وفتح الباب وظهر على عتبته رجل ضئيل الجسم نحيف البنية فقال له لوبين دون موارية :

ـ انى اريد ان اقابل مسيو شوان .

ولم يكد يوجه هذا السؤال حتى ادرك على الفور أن هذا الرجل هو مسيو شوان بعينه . ولكنه دهش حين راى الرجل يعترف بذلك فى غير تردد وقد كان يتوقع منه الانكار :

ـ اننى شوان .. وانت مسيو لوبين اليس كذلك ؟

فاخذ لوبين نفسا طويلا من سيجارته اتاح له فرصة للتفكير ثم قال :

ـ وكيف عرفت انى لوبين ايها الصديق العزيز ؟

فتنحى الرجل عن الباب يدعو لوبين الى الدخول وهو يقول :

ـ كان فى نيتى ان أزورك اليوم فان لدى شيئا احب ان افضى به اليك . فهل تتفضل بالدخول .

ودخل لوبين ولكنه وضع يده فى جيبه ممسكا بمسدسه استعدادا للطوارى .

وقاده الرجل الى غرفة داخلية عارية من الاثاث ليس فيها الا منضدة ومقعدان . وجلس الرجل على احد المقعدين واشار الى المقعد الثانى يدعو لوبين الى الجلوس . فلم يكن لوبين مجال اختيار واضطر ان يجلس على هذا المقعد فصار ظهره بذلك الى باب داخلى يقوم فى ركن الغرفة .

وقال شوان يسأله : هل لك فى كأس من الخمر ..؟

فارتسمت على شفتى لوبين ابتسامة خفيفة وقال : كلا ! وشكرا .. لماذا كنت تنوى ان تزورنى .

فقال شوان : كنت اريد ان اتحدث اليك فى شأن زوجتى لقد هجرتها منذ سنة تقريبا . ويجب ان اعترف فيما بينى وبينك ان لزوجتى مساوىء لا حصر لها .. وليس معنى هذا انى ممن يذكرون الاموات بسـوء .

فرفع لوبين حاجبيه مستفسرا فقال الرجل مجيبا :

— نعم .. لقد عرفت انها انتحرت .. لقد قرأت الخبر فى صحف الصباح . انى احبها ولكنى اضطررت الى هجرها لانها ثرثارة لا تعرف كيف تمسك لسانها .. كان رجال البوليس يبحثون عنى فى كل مكان بسبب مكيدة دبرها لى احد اعدائى . فلو ان زوجتى كانت تعرف مقرى لانطلق لسانها يتحدث بمخبأى ولكان ذلك سببا فى وقوعى فى أيدى البوليس .. ولهذا هجرتها وكتمت عنها مقرى .

وادرك لوبين من لهجة الرجل وطريقة القائه انه يحفظ هذه الحكاية عن ظهر قلب كأنه ممثل حفظ الكلمات التى يقتضيها دوره .

وقال لوبين يسأله فى غير اهتمام . وما هى هذه المكيدة؟

— انك تعلم طبعا انى اندس بين هواة المراهنة على الخيل واحاول ان اغريهم بالمراهنة غير المشروعة وفى بعض الاحيان الاعبهم القمار اثناء سير القطار .. وفى ذات يوم ادعى احدهم الا ان ضرب هذا اللاعب بهراوة من الخشب فقتله لساعته .. لست انا القاتل طبعا وانما هو زميلى .. ولكن رجال البوليس ظنوا حقا انى انا القاتل فشرعوا يبحثون

عنى بهذه التهمـــة .

وكان لوبين يصغى الى هذه الحكاية وهو يبتسم ثم قال:

— حكاية لطيفة . لقد كنت اتحدث منذ برهة عنك مع المفتش بيشو فلم ينبغى انك مطلوب بتهمة القتل وظهر على وجه شوان انه بوغت بهذا القول واستولت عليه الحيرة ولكنه ما لبث ان استرد ثباته وقال :

— وهل كنت تنتظر يا سيدى من المفتش بيشو ان يطلعك على هذه الاسرار ..؟ نعم .. ان البوليس يطاردنى وهذا هو ما دعانى الى الاختباء فى هذا .

وكان لوبين فى خلال هذا الحديث يرقب شوان مراقبة دقيقة فرأى ان نظرته مرسلة وراءه .. ورأى ان فى عينيه قلقا ولهفة .. وكانت عضلات وجهه متقلصة تدل على انه يتوقع شيئا ويترقبه.

وادرك لوبين ان هناك شيئا يجرى خلفه .

وفى سرعة البرق انحرف الى اليمين ودار على عقبه وهب واقفا فى نفس اللحظة التى رأى فيها بدا تهوى بهراوة ضخمة على المواضع الذى كان جالسا فيه . فلو انه ظل مكانه لاصابت الهراوة رأسه وسقط صريعا فى الحال. ولكن الهراوة بسبب الحركة التى اتاها ـ اصابت المقعد .

وقبل ان يتمكن لوبين من اخراج مسدسه كان صاحب الهراوة قد وثب الى الباب الداخلى ومرق منه فلما عالجه لوبين الفاه موصدا من الخارج .

وتراجع لوبين الى الخلف ودفع الباب بكتابة دفعة قوية حطمت القفل فانفتح .. ولكنه وجد الغرفة خالية وكان فيها باب آخر الفاه موصدا فحطمه كما فعل بالباب السابق

ولكنه لم يجد المعتدى الهارب فى الغرفة الثانية . فلما رجع الى الغرفة التى كان فيها من قبل وجد ان شوان قد اختفى بدوره فامضى بعض الوقت يفتش البيت فلم يسفر هذا التفتيش عن أثر يستدل منه الى شخصية الرجل الذى اعتدى عليه ولا السر الذى يحيط بشوان .

وحين رجع لوبين الى داره بادرته سوزان فلوميه بقولها :

ـ لقد سألت عنك بيشو وهو يرجوك ان تتصل به بمجرد عودتك .

ـ هل وقعت فى متاعب جديدة ..؟

فضحك لوبين وقال .

ـ طبعا .. كالعادة .. ولكن المتاعب ليست مع بيشو فى هذه المرة .. انى لا أدرى حتى الان نوع هذه المتاعب وكل ماهناك انهم حاولوا ان يقتلونى مرتين فى خلال اثنتى عشر ساعة .

ـ ومن هم الذين حاولوا ..؟

ـ هذا هو السؤال الذى ما فتئت اوجهه الى نفسى دون ان ادرى له جوابا .

ومضى الى التليفون فاتصل بالمفتش بيشو فقال له هذا :

ـ اكنت جادا فيما ذكرته لى عن مسالة القنبلة ..؟

ـ طبعا . ـ صفها لى .

ـ كانت موضوعة فى صندوق صغير يتصل به سلكان كهربائيان اذا فتح الباب تمت الدورة الكهربائية فانفجرت القنبلة . ـ الا زلت تحتفظ بها ..؟

فضحك لوبين وقال : وهل تعتقد يا بيشو ان الاحتفاظ بالقنابل شىء مرغوب فيه ..؟

انى لا احتفظ بها فحسب وانما اتسلى منذ ساعة باللعب بها .. وبلغ من غرامى بهذه اللعبة انى وضعتها فى الفرن وجلست عندها لارى كيف تنفجر .

فلبث بيشو صامتا برهة وقد غاظه هذا التهكم ثم ارتفع صوته ثانية بقوله :

ـ لقد وجدت قنبلة من هذا الطراز فى منزل الكونت ريباى فى قرية شوبريه .. انى أحب ان اراك فهل لك فى انتظارى ..؟

الفصل الثالث

عندما حضر بيشو لمقابلة لوبين بادره هذا بقوله :

ـ اذن فهناك من يحاول ان يغتال المليونير ريباى ؟

فأحنى بيشو راسه قائلا : لقد نجا بمعجزة .. ومن الغريب انه لم يعد المرحوم المليونير ريباى .

وشرع بيشو يقص على لوبين تفاصيل هذا الحادث .. فقال :

ـ كان فى نية ريباى ان يمضى عطلة الاسبوع فى بيته الريفى فى قرية شوبرية فاعتزم ان يمضى اليه فى هذا المساء. ولكنه ذكر فى صباح اليوم انه نسى هناك سجلا كان فى حاجة اليه فارسل السائق ليأتى به فلما وصل السائق الى القرية ادرك انه نسى المفتاح ولم يحضره معه . فبدلا ان ان يعود ليأتى به أثر ان يدخل من احدى النوافذ الخلفية . ولما هم بان يخرج من الباب وجد القنبلة موضوعة خلفه . وكانت متصلة بالباب بأسلاك كهربائية . فكان انفجارها مؤكدا اذا

ما فتح الباب ، ولكن من المؤكد أيضا انها ستقتل اول رجل يفتح الباب . ولما كان من المعـــروف ان الكـونت ريبـاى لا يستصحب معه الى بيته الريفى من الخدم غير سائق السيارة والطباخ فقد كان المفروض ان يكون ريباى هو المقصود بهذه القنبلة . وقد اتصلت تليفونيا بالبوليس المحلى فالبـانى بأوصاف القتيلة فذكرنى هذا بالقنبلة التى سبق ان اخبرتنى انك وجدتها خلف باب مسكنك . فرجع لدى من تمـاثل القنبلتين ان الذى وضعهما شخص واحد .

— هذا محتمل لأن سكرتير ريباى كان موجودا فى البيت

— ومن المحتمل انهما وضعا فى يوم واحد ايضا .

فى اليوم السابق ليأتى ببعض الأوراق ولم ير قنبلة .

وساد الصمت برهة ثم قال بيشو فجأة :

— وعلى فكرة ما هو عنوان البيت الذى ذكرت لك مدام شوان انها رات فيه زوجها ..؟

فضحك لوبين وقال :

— يسرنى منك يا بيشو ان تبدأ سؤالك بهــذه الجملة العتيدة « على فكرة » كأنما تريد ان توهمنى بأن السـؤال جاء عرضا ..! ومع ذلك سأشبع رغبتك فأقول لك انه البيت رقم ٦ بميدان جورجيه . ولا تحسبن أنى افضى اليك بسر خطير .. نعم . ان شوان يقيم فى هذا البيت وقد قابلتـــه بنفسى هناك منذ برهة وجيزة . ولكنك لن تجده اذا خطر لك ان تذهب اليـــه .

— وما ادراك ..؟

— لأنه حاول مع زميل له ان يصرعانى بضربى عـــلى راسى بهراوة من الخشب .

الا تنوى ان تحدثنى بشى آخر ..؟

— ماذا تقصـــد ..؟

— اقصد ان اقول ان هذه المحاولات المتعددة لاغتيـالك ما كانت لتتمثل لولا أن هذه العصابة المجهولة تعتقد انك خطر عليها . وان من الحكمة ان تتخلص منك . فلماذا لاتجعلنا نمد اليك يد المساعدة ونحاول أن نحميك من هذه الاعتداءات؟

كان بيشو يريد بعبارة ادق ان يطلب من لوبـين ان يفضى اليه بما عنده من معلومات ولكن كبرياء جعلته يصوغ سؤاله فى هذا الاسلوب الملتوى . فكان جواب لوبين ان قال فى شىء من التهـــكم :

— يلوح لى يا عـزيزى بيشـــو انك اصـبحت تحبنـى وتحرص على صيانة حياتى.

— انى اؤدى واجبى .

وكان لوبين يعرف حرج موقف بيشو وانه ينشد منـه المعونة ليكشف سر محاولة الاعتداء على الكونت ريباى حتى يقى نفسه لوم رؤسائه فشعر بالعطف عليه وقال : انى على استعداد طبعا الان أزودك بما لدى من المعلومات . ولكنهـا معلومات تافهة لا تغنى شيئا .

ثم قص عليه تفاصيل ماجرى فى منزل ميدان جورجيه. واختتم حديثه بقوله :

— الأمر يبدو غريبا وان كنت لم اكون رايا نهائيا بعـد .. قتلت مدام شوان لأنها رات زوجها .. واريد قتلى لانى اعرف انها رات زوجها .. فهل لهذه الرؤية من الاهمية

ما يدعو الى ارتكاب كل هذه الجرائم ..؟ وانى اسائل نفسى عما اذا كان ريباى قد راى شوان ايضا ..؟

فقال بيشو مجيبا : انى لم اقابل ريباى بعد فهيا بنا نذهب اليه لآن .

وتلقى الكونت ريباى البوليس السرى مرحبا وهو يقول :

– المفتش بيشو .؟ انى سعيد بمقابلتك .. حضرت طبعا بشان القنبلة .؟ مسالة غريبة .. انى رجل لا اعداء لى .. ويغلب على ظنى ان الذى حاول اغتيالى فوضوى ممن يكرهون اصحاب رؤوس الأموال .. اهذا مساعدك ؟

واستقرت عيناه على أرسين لوبين فقال بيشو : هذا مسيو لوبين . لقد اتيت به معى .. لانه .

فالتمعت عينا الكونت وصاح قائلا : مسيو لوبين ! اتريد ان تقول ارسين لوبين الشهير ؟

فقال بيشو فى شىء من الامتعاض :

– نعم يا سيدى انه هو بعينه .. لقد ..

ولكنه امسك عن متابعة كلامه اذ راى امامه مشهدا جعله يحملق مذهولا .. لقد اشرق وجه الكونت ريباى والتمعت عيناه جذلا وتناول يد لوبين واخذ يهزها بشدة بكلتا يديه وهو يرحب به فى حرارة لم ير بيشو ذرة منها .

– ارسين لوبين .. يا الهى .. ! ما اسعدنى بهذا اللقاء .. ! لقد قرأت عنك كل شىء .. وكنت اتمنى ان

القاك .. كنت اعتقد انك شخص خيالى لا وجود وان حوادثك من اختراع الصحف .. انى سعيد بهذا اللقاء .!

فسئل بيشو وقال : كنت اريد ان اقول لسيدى الكونت أن ... ولكن الكونت استرسل قائلا :

– انى لازلت أذكر حوادثك الشهيرة كانى قرأتها بالامس .. مثلا سرقت جواهر التاج .. وحكاية الابرة المجوفة .. وحكاية لغز الرقم ٨١٣ .. ووقائعك العظيمة مع شرلوك هولمز .. انك عزيزى لوبين رجل مدهش .. انك تستحق اعجابا عظيما ..

واخذ الكونت يسرد بعض حوادث لوبين الشهيرة والمفتش بيشو يتململ فى وقفته والامتعاض ظاهر فى عينيه . وكلما حاول ان يفهم الكونت ريباى السبب الذى من اجله اتى بلوبين معه قاطعه هنا مبديا اعجابه بالمغامر الشهير .

واخيرا – وبعد مقاطعات متعددة – استطاع بيشو ان يقول :

– لقد اتيت بمسيو لوبين معى لانى عرفت ان له علما بالمسالة .. وظننت ..

فصاح الكونت مقاطعا :

– نعم ما فعلت .. هذا هو الصواب بعينه .. الآن استطيع ان اطمئن الى ان مسيو لوبين سيميط اللثام عن هذا اللغز بما هو معهود فيه من الذكا والنبوغ .. ان ذكاءه يعادل ذكاء جميع رجال ادارة الامن العام مجتمعين .

وكانت كل كلمة من كلمات الكونت ريباى بمثابة خنجر

يمزق كبرياء بيشو وكلما حاول أن يغير مجرى الحديث رجع ريباى الى اطراء لوبين . وأخيرا قال بيشو فجأة :

— أتعرف رجلا يدعى شوان ؟

— شوان .. ؟ شوان .. ؟ انى لا اذكر احـدا بهذا الاسم .. من يكون .؟!

لاعب قمار من المولعين بالغش .

— انى لست ممن يلعبون القمار . انى لا اعرفه .

— لدينا ما يحملنا على الاعتقاد بان له يدا فى مسألة القنبلة .؟

— الم تقابل زوجته مدام شوان .. نلوريه شوان .؟ وهى خادمة متنقلة .

فهز ريباى راسه قائلا : لا اذكر أنى استخدمت فى حياتى زوجة متنقلة .. ومع ذلك فسكرتيرى يستطيع أن يذكر هذه المسائل اكثر منى .

واستدعى الكونت سكرتيره لويس ايروك وقدمه الى الرجلين فكان جوابه عن السؤال مؤيدا لما قاله الكونت ريباى .

وقال الكونت : ولكن ما دخل شوان هذا فى المسألة ؟

فقص عليه بيشو فى ايجاز تفاصيل ما حدث لارسين لوبين على اثر مقابلة الزوجة له ففرك الكونت كفيه سرورا وهو يقول : اذن فقد حاولوا أن ينسفوك انت ايضا ؟

فقال بيشو : الغالب أن الذى وضع القنبلتين رجل واحد . ألم تكن فى البيت بالامس يا مسيو أبروك ؟

— نعم . ولم تكن هناك قنبلة خلف الباب .

— وفى اى وقت كان ذلك .؟

— وفى الساعة السادسة لانى لحقت بقطار السادسة والثلث .

وجود شخص غريب يرتاد هذه الناحية .؟

من مساء الاربعاء وبين الوقت الذى حضر فيه السائق فى صباح اليوم . ليت شعرى هل فطن البوليس المحلى الى محاولة اغتيال لوبين . ولكن العصابة ما لبثت ان هاجمت

— يمكننا أن نرسل فى استدعاء المفتش المحلى .

فقال بيشو معترضا :

— انى افضل ان نسرع بالرحيل الى باريس وانت معنا .

— ولماذا .؟

— لقد اخفقت محاولة الاعتداء عليك بقنبلة كما اخفقت محاولة اغتيال لوبين . ولكن العصابة ما لبثت ان هاجمت لوبين بعد بضع ساعات فهم كما يلوح قوم خطرين . ولهذا اعتقد انهم سيحاولون الاعتداء عليك مرة اخرى. وفى باريس يسهل اتخاذ الاجراءات اللازمة للمحافظة على حياتك . اما هنا . فى هذا المنزل الريفى المنعزل فالامر يصبح دقيقا .

فهز الكونت ريباى كتفيه فى استخفاف قائلا :

— انى لن اذهب الى باريس .. مادام مسيو لوبين موجودا الى جانبى فانى مطمئن على حياتى كل الاطمئنان .. ان لوبين سيعرف كيف يحمينى .

فقال بيشو فى شى من الامتعاض : لقد أردت ان اذكر لسيدى الكونت أن لا شأن لمسيو لوبين بصيانة حياتك لانه ليس بوليسا . فهز ريباى كتفيه فى ازدراء وقال :

— انى اثق به سواء كان بوليسيا رسميا او غير رسمى . وانى اعتقد ان مسيو لوبين لا يريد ان يعود الى باريس بل يؤثر البقاء .. اليس كذلك يامسيو لوبين ؟

فابتسم لوبين وجعل يتفرس فى وجه المفتش بيشو ثم قال فى خبث ومكر :

— نعم . انى افضل البقاء .

الفصل الرابع

عندما اجتمع الحاضرون حول منضدة صفت عليها اقداح الشراب قال الكونت ريباى :

— والآن حدثنى برايك فى هذه المسائل يامسيو لوبين .

— الواقع انى لم اكون بعد رايا نهائيا .. ولكن الأمر المؤكد هو ان العصابة تنوى ان تقتل كل من راى شوان . وبقليل من الذكاء يستطيع المرء ان يدرك ان لشوان علاقة بمسالة خطيرة ، فظهوره كفيل بأن يكشف سر هذه المسالة

وقال بيشو يسأل الكونت :

— الا يحتمل ان تكون قد قابلت شوان وهو ينتحل اسما آخر .؟ اليس لك عدو يبيت لك الغدر .؟

— انى رجل بلا اعداء فقال لوبين :

— ما انا فاعدائى لا حصر لهم .. فاذا كان اعدائى قد حاولوا تمزقى بالقنبلة فمن ذا الذى حاول ان يقتلك ولا اعداء لك .. ؟ هذا معناه ان العداوة ليست هى الدافع الى القتل .. فينبغى ان نبحث عن آخر .. والدوافع كثيرة

طبعا .. والمفتش بيشو يحفظها عن قلب لانه قراها فى كتاب (الف باء) مهنة البوليس السرى .. وبهذه المناسبة يحسن لى ان احذركم من الوقوف فى النوافذ والغرف المضاءة والا اصبحت أسادكم هدفا لرصاص العصابة لانى اعتقد انه ستقع محاولة جديدة لاغتيال الكونت او اغتيالى .

فقال الكونت ريباى مخاطبا بيشو :

— ان مسدسك معك طبعا يا جناب المفتش ؟

فهز بيشو راسه واجابه بانه لم يعتد ان يحمل مسدسا الا اذا كان فى نيته ان يذهب للقبض على احد المجرمين . ولكنه حضر الآن لمجرد مقابلة الكونت ريباى .

فقال ايروك : انى اذكر ان لدينا مسدسا هنا .

فقال الكونت ريباى : اذن احضره بالله عليك .

— ولكن لا يوجد لدينا رصاص .

— اتصل بالمفتش المحلى واساله ان ياتى لمقابلة المفتش بيشو وان يحضر معه كمية من الرصاص .

وقبل العشاء ازداد عدد الحاضرين زائرا جديدا اذ حضر الفيكونت كينيه ريباى نجل الكونت ريباى .. وقد جاء فى سيارة صغيرة من سيارات السباق فخف ايروك الى مقابلته واتى به الى ضيوف ابيه .

وكان الشاب لا يزال فى مقتبل العمر .. ولكن كان واضحا عليه انه جبان وانه بادى الخوف والانزعاج . وقال وهو يرتعد :

— انى ارجو ان لا يعاود هؤلاء المجرمون محاولتهم وانا

موجود هنا .. انى لا انوى على اية حال الا البقاء ريثما اتناول العشاء .

فقال ابوه : كنت اظنك قد جئت لتقضى عطلة الاسبوع معى ؟

ـ آسف يا ابتاه .. فانى مدعو الليلة لقضاء السهرة عند فوريه .

ـ ولكنك تعلم ان ابنة عمك ستحضر غدا .

ـ فليكن .. فانها تستطيع ان تمضى وقتا سعيدا بدونى

فقال أبوه فى شىء من الغيظ : انى موقن من هذا .. فوجودك وعدمه سيان .. كنت اتمنى أن تكون يا بنى صالحا للزواج من ابنة عمك .. ولكنك خيبت رجائى .

فضحك كينيه وقال : ان ابى يعتقد انى ولد شرير خبيث .

ولما انتهت هذه الجماعة من تناول العشاء وخلا بيشو الى لوبين برهة من الوقت قال الاول متسائلا :

ـ ما رايك فى نجل الكونت ريباى .؟

ـ انه جبان شديد الخوف . ويلوح لى ان اقل شىء كفيل بانتزاعه انه كتلة من اعصاب مضطربة .

ـ انى اعتقد ان فى مخه شيئا خفيا لا ادرى كنهه .

فضحك لوبين وقال : هذا اذا كان له مخ .!

وساد الصمت برهة ثم قال المفتش بيشو فى لهجة ذات مغزى :

ـ انه طبعا سيكون الوريث الوحيد لابيه اذا انفجرت القنبلة ونسفت الكونت ريباى كما كان مقدرا .

فقال لوبين متهكما : وهل هو ايضا الوريث الوحيد لى ولمدام شوان .؟ يجب أن اعترف يا بيشو بانك نابغة فى الاستنتاج .!

وتألم بيشو لهذا التعويض ولكنه كان مضطرا ان يكظم غيظه اذ كان يعلم انه لن يتقدم خطوة واحدة اذا ما تخلى عنه لوبين .

وبعد قليل انضم الرجلان الى باقى الجماعة فقال لهما الكونت ريباى :

ـ سيحضر المفتش المحلى (الديه) بعد ربع ساعة ومعه كمية من الرصاص .. ولكن مما يؤسف له أنى لم اعثر على المسدس ولا اذكر اين وضعته .

وفى هذه اللحظة اقبل الفيكونت الشاب من الحديقة من خلال باب الشرفة وكان يرتعد .. فابتسم لوبين واخذ يسائل نفسه عما اذا كانت هذه الرعدة راجعة الى برودة الجو فقط ام الى سبب آخر وقال ريباى مخاطبا سكرتيره الذى جاء من الحديقة فى رفقة ابنه :

ـ الا تذكر اين كنا نحتفظ بالمسدس ..؟

ـ فى قاعة المكتبة فى الغالب .. اتريد أن اعده لك غدا.

ـ غدا .! بل الآن . وعلى الفور . الا تدرى ان من المحتمل أن تهاجمنا العصابة الليلة مرة اخرى فانبعث الفيكونت كينيه ريباى واقفا وهو يقول فى صوت متهدج :

— اسمحوا لى بالانصراف فان فورية فى انتظارى .

ولكن المفتش بيشو استمهله بقوله : لحظة واحدة من فضلك .. ان لدى سؤالا صغيرا .

— فدار الشاب بعينيه فى ارجاء الغرفة فى قلق واضطراب وقال :

— ولكنى لا اعرف شيئا .

— الا تعرف رجلا يدعى ..

— انظروا .!

وكان السكرتير لويس ايروك هو الذى نطق بهذه الكلمة فى صوت حاد يدل على الانفعال فنظر اليه لوبين فوجده جاحظ العينين وهو مرسل بصره الى النافذة المطلة على الحديقة . وقال بيشو يسأله :

— ماذا جرى .؟

— رأيت رجلا .. خلف زجاج النافذة . على وجهه قناع .. لقد رأيته .!

فصاح لوبين قائلا : اطفئوا الأنوار .

فوثب الكونت ريباى الى الزر الكهربائى واطفأ الضوء. وتكلم لوبين من قلب الظلام قائلا :

— والآن فلنفترق ولنخرج الى الحديقة لنبحث عن الرجل الملثم ليس بينكم من يحمل مسدسا سواى فاذا عثر احدكم عليه فاستنجدوا بى . ارجوك يا كونت ريباى ان تأخذ بيدى لترشدنى الى طريق الخروج فانى لا اعرف مسالك البيت .

وانطلق الحاضرون الى الحديقة .. وكان الظلام حالكا

والسكون شاملا .. والتفت لوبين الى الكونت ريباى الذى كان يمشى خلفه وقال :

— ارم هذه السيجارة فان طرفها المتوهج يجعلك هدفا صالحا .

وفى هذه اللحظة دوى طلق نارى صادر من ناحية البيت اعقبته صرخة فجرى لوبين الى مصدر الصوت وسمع صرخة اخرى تبين فيها صوت كينيه ريباى .

ودوى طلق ثان فرفع لوبين مسدسه واطلق النار بسرعة على الموضع الذى رأى فيه وميض الرصاصة وهو مطمئن الى ان هدفه سيكون احد رجال العصابة مادام هو الوحيد الذى يحمل مسدسا بين الحاضرين .

وانطلقت رصاصة ثالثة اسرع لوبين بالاجابة عليها .. ولكنه كان ضعيف الأمل فى اصابة الهدف فى مثل هذا الظلام الحالك .

وسمع وقع اقدام تجرى على الحشائش أعقبه دوى سيارة تنهب الأرض فانطلق لوبين خلفها فخرج اليه من خلف احد الأشجار رجل امسك بكتفه فدار اليه لوبين وقبض على رسغه وهو يقول :

— حركة واحدة فاقتلك !

— يا الهى : انى لويس ايروك .

فتركه لوبين وهو يقول كنت أحسبنى قد ظفرت بأحد رجال العصابة .

وانطلق يجرى الى ناحية السيارة ولكنه ألفاها قد

ابتعدت . فوضع مسدسه فى جيبه وهو يقول : سالحقها بسيارتى .

وجرى الى الموضع الذى كان قد اوقف فيه سيارته .. ولكنه ابت أن تسير .. فلما فحصها وجد ان بعض الاسلاك قد نزعت من موضعها فادرك ان اللحاق بالسيارة الهاربة أمر مستحيل فاستدار ليرجع الى القصر .

وفى تلك اللحظة ومض عود من الكبريت فى ظلام الحديقة وارتفع صوت المفتش بيشو قائلا :

ـ هلموا الى .! هلموا الى !

فلما أسرع اليه لوبين وجده منحنيا فوق رجل طريح على الأرض ولم يكن الرجل الا الكونت ريباى .

الفصل الخامس

لم يكن الكنت ريباى ميتا .. وانما كان جريحا .. وقد تكلم قائلا :

ـ اطمئنوا .. ان جرحى بسيط .. الم تقبضوا على أحد هؤلاء الأوغاد ؟

فاجابه لوبين فى مرارة :

ـ كلا بكل آسف .

وحملوه الى البيت فوجدوا ان الرصاصة اصابة كتفه الأيمن ومزقت العظام .

وقال الكونت ريباى مخاطبا لوبين :

ـ لقد نصحتنى ولكنى اهملت .. لم ارى السيارة .. فكنت هدفا .

والتفت بيشو الى السكرتير ايروك قائلا :

ـ استدع الطبيب حالا .

وكانوا قد التاموا ثانية فى الغرفة . ولكن كان ينقصهم شخصا واحد فقال لوبين :

ـ اين كنت ؟..

ولكنه امسك فلم يتم الكلمة .. وذلك انه لاحظ ان وجه ريباى قد تهجم .. وتقلصت عضلات وجهه وانقلبت سحنته وهتف يقول :

ـ كينيه .! اين كينيه .!

وادرك لوبين تجواب هذا السؤال فيما ارتسم على عينى السكرتير الذى قال مجيبا : لقد انصرف فانبرى لوبين يقول : لقد انصرف ليأتى بالمفتش (الديه) .. أليس كذلك .؟

وغمز بعينيه للسكرتير فامن هذا على كلامه . واسترسل لوبين يقول :

ـ هيا بنا نستدع الطبيب .

واخذ بذراع ايروك وخرج . وقال له : ماذا اصاب كينيه

فقال ايروك فى صوت مضطرب :

ـ لقد نالوه .. لقد أصابوه .! عندما فتحنا الباب اطلق بعضهم النار علينا فأصابتنى الرصاصة فى ذراعى ولكنه كان مجرد خدش بسيط .

وازاح كمه فانكشف عن جرح خفيف فى رسغه واستطرد يقول : فهبطت الى الحديقة مسرعا فأصابتنى فى بطنى ضربة كاد أن يغمى على بسببها . وسمعت صوت كينيه وهو يصرخ مستندا . ثم رأيت اشباحا تجرى فى الظلام فانطلقت

وراءها .. واذ ذاك امسكت بك حين خرجت اليك من وراء الشجرة .. انك تذكر ذلك طبعا ..؟ لا شـك انهم قبلوا كينيـه .

فاخذ لوبين نفسا طويلا من سيجارته ثم قال :

ـ لقد سمعت دوى رصاصة واحدة قبل ان يشرعوا فى اطلاق النار على

واخذا يفتشـان الحديقة على ضـوء مصباح كهربائى صغير. ووصل المفتش الديه فى هذه اللحظة فذكر لهما أنه لم يقابل احد فى طريقه .

وكان دوى الرصاص قد اثار فضول بعض اهل القـرية القريبين فخفوا الى مكان الحادث واشترك الحاضرون جميعا فى البحث عن كينيه ريباى .

ولكنهم لم يعثروا له على ثر . فقال المفتش الديه :

ـ يحتمل انه ذهب طى طلب النجدة .

فقال لوبين مجيبا :

ـ لا اظن ذلك .

وعلى ضـوء المشـاعل لاحظ لوبين شـيئا لم يفطن له الآخرون وهو أن سيارة كينيه كانت قد اختفت ..!

كما وجد على الأرض منديلا ملوثا بالدماء على مقربة من المكان الذى كانت تقف فيه سيارة كينيه .

ولما رجعوا الى البيت كان الطبيب قد فـرغ من فحص

الكونت ريباى فعرفوا ان الرجاء كبير فى شفائه على الرغم من خطورة اصابته .

وقال المفتش بيشو فى شىء من الحيرة :

ـ ليت شعرى هل خطف كينيه أم هرب ..؟

فكان جواب لوبين :

ـ ان الشواهد تدل على انه لم يخطف .

واراه المنديل الملوث بالدماء والمطرز بحرف (ك) رمزا الى اسم كينيه .

ومضى بيشو الى التليفون فاتصل بادارة الامن العـام لتنبيه على مراكز البوليس المختلفـة المنتشرة فى الطريق القريبة من مكان الحادث بان تضبط أية سيارة لها اوصاف سيارة كينيه .

وقال المفتش الديه :

ـ هـاك الرصـاص الذى طلبتموه منى .. وان كنت اعتقد ان لا نفع له الآن .

فتناوله منه السكرتير وهو يقول :

ـ يحسن على اية حال ان نتخذ الحيطة .

ـ وسأرسل شرطيا ليقـوم بحراسة القصر .. والآن هيا بنا يا دكتور .

وشيعهما ايروك الى الباب الخارجى للقصر . اما لـوبين فظل فى مقعده يفكر ويدخن .

وبعد برهة غير قصيرة . التفت اليه بيشتو وقال :

ـ ما رأيك فيما حـدث ..؟

فقال لوبن وفى عينيه نظرة ماكرة :
رأيى ان الرواية مثلت باتقان .

- مثلت باتقان .. ماذا تقصد ..؟

فقال لوبين فى صوت خافت كأنه يخاطب نفسه :

- ان ما حدث يدعو الى الاعجاب .. تصور ما جرى يا بيشو .. رجل ملثم يظهر خلف النافذة .. الذعر يسود الحاضرين .. ينطلقون الى الحديقة من ثلاثة أبواب مختلفة .. لقد كنا خمسة انطلق كل منا فى ناحية ومع ذلك لا تمضى دقيقة واحدة حتى يتمكن الرجل المجهول من ان يميز الأشخاص الذين يريد ان يقتلهم .. ان الرصاصة التى أصابت ريباى كان من المحتمل ان تصيبنى انا ايضا لأنه كان واقفا خلفى ولا تنسى يا عزيزى بيشو انى وريباى الرجلان اللذين يريد نسفهما بالقنابل .. وقد اختطف كينيه فلا تنسى ايضا ان كينيه نجل الكونت ريباى .. ولم يحاول احد ان يختطف ايروك مثلا مع انه ضرب وكان فى متناول ايديهم .. كما انهم لم يحاولوا اختطافك مع انك شرطى عبقرى .

- هذا معناه ان الوقت لم يتسع لهم لاغتيالى .

- بل معناه أن لا خطر منك عليهم مادمت لا تعرف شيئا

فقال بيشو فجأة :

- لقد خطرت لى فكرة .. ان سيارة كينية من سيارات السباق فلا تتسع الا لاثنين فكان واجبا ان نبحث فى اتجاه النهر اذ من المؤكد ان الباقين فروا من هذا الطريق .

- وهل عرفت عددهم ..؟

- كلا .. ولكنك رأيت اثنين منهم فى منزل ميدان جورجيه احداهما شوان .. وانا أعرف شوان شخصيا واعتقد انه لا يمكن أن يرتكب جريمة القتل .. انه مغامر غشاش ولكن لا يمكن ان يكون قاتلا ..

وفتح باب القاعة ودخل ايروك يحمل زجاجة حمر وصينية عليها اقداح الشراب .

وقال لوبين متسائلا :

- ما هى دوافع القتل التى تعلمتها فى المدرسة ..؟

- الانتقام .. وواضح انه لم يقابل أحد ممن أريد اغتيالهم .. الا زوجته طبعا .. والدافع الثانى هو الغيرة .

- وما الذى يدعوه الى الغيرة ..؟

فقال ايروك مقترحا :

الخوف من الاهتداء اليه ..؟

فقال بيشو معترضا :

- ومم يخاف وهو لم يرتكب جريمة تبيح لنا تقديمه الى المحاكمة ..؟

فقال لوبين :

- ما دامت كل هذه الدوافع غير صالحة فلا يبقى لدينا اذن الا الدافع الأخير وهو الرغبة فى الحصول على المال .؟

فقال بيشو متسائلا :

- الحصول على المال ..؟

فأجابه لوبين فى صوت هادىء :

— نعم .. الحصول على المال .. ولكن هذا الدافع لا يتفق مع جميع الحقائق .. فما هو المال الذى يرجو شوان أن يحصل عليه من زوجته او منى .؟ وهل كان شوان يعلم ان كينيه سيحضر الليلة فعزم على اختطافه ليطلب عنه فدية ؟ ومع ذلك لنفرض ان هذه النظرية صحيحة فكيف يطلق النار على الكونت ريباى مع انه لو قتل لما وجد شوان من يفتدى كينيه ..؟

— من المحتمل انك انت الذى كنت مقصودا بالرصاصة لاريباى .

— وهل نسيت انهم حاولوا تمزيق ريباى بالقنبلة قبل ذلك ..؟

فقال بيشو وهو يقرض على أسنانه :

— اذا كانت لك نظرية معينة فحدثنا بها فانك لم تفعل شيئا الا مضاعفة الارتباك وزيادة التعقيد .

فقال لوبين فى صوته الهادىء الحالم كانما يتابع خواطره الخاصة :

— اذا كانت لك نظرية معينة فحدثنا بها فانك لم تفعل

فقال ايروك يستحثه :

— يلوح لى انك كونت رايا ؟

فابتسم لوبين وقال :

— انى لم اكون رايا فحسب وانما اهتديت الى الحقائق ؟

فقال بيشو فى لهفة :

— وما هى هذه الحقائق ؟

فضحك لوبين فى تهكم وقال :

— عجبا ..! اتريد أن تقول انك لا تعرفها !

— ولكنى ..

— ولكنى موقن من أنك تعرفها ..!

فازدرد بيشو ريقه فى غيظ مكتوم وقد ادرك أن لوبين يريد ان يسخر منه واستطرد لوبين قائلا :

فكر قليلا يا بيشو .. استعمل هذا الشىء الذى يسمى مخا .! اربط الحوادث بعضها ببعض .. ألم تصل الى الحقيقة بعد .؟ يا الهى ! اينا البوليس السرى هنا انا أم انت ..!

فقال ايروك متسائلا :

— اتريد ان تقول انك اهتديت الى المجرم ..؟

فهز لوبين راسه نفيا وقال :

— كلا .. لم اصل الى النهاية بعد .. كل ما هناك أن فى دماغى مجموعة من الآراء والخواطر تتحرك بسرعة وتسير وتلتقى وتتبادل الحديث . ولست ادرى ما يمكن ان يسفر عنها احاديثها .

— ليت شعرى هل تحسنت حالة الكونت ريباى ..؟

وغادر الغرفة الى مخدع الكونت فالفاه يدخن سيجارا فقال له الكونت وهو يضحك :

— يظهر انى من طراز غير قابل للموت .. لو أن المسدس كان معى لاستطعت ان انال بعض هؤلاء الأوغاد .

ـ لقد اتى المفتش الديه بكمية من الرصاص فسأتيك بها هي والمسدس لتضعها تحت وسادتك حتى يسرى الاطمئنان الى قلبك .

ـ ولكن ارجوك ان لاتترك البيت فان وجودك يبدد مخاوفي .

ـ لن اتركك .

فابتسم الكونت ريبا وقال :

ـ شكرا .. لقد نال الاوغاد كينيه .. نعم .. لقد بلغني الامر اذا استدرجت ايروك الى الحديث وانتزعت منه هذا السر الذى حاولتم كتمانه عنى .. انى كما ترى قوى الاعصاب واستطيع ان اصمد امام اعنف الصدمات .

ـ ولكن ماذا تظنهم فاعلين به ؟

ـ لست ادرى وان كنت اعتقد انه لن يصيبه سوء .

فقال ريباى :

وهذا هو رايى ايضا .. لو انهم ارادوا ان يقتلوه لما كان هناك ما يدعوهم الى اختطافه ولكان فى وسعهم ان يفتكوا به هنا .

ثم اردف ريباى :

ـ يحسن ان تتصلوا بصديقه فوريه لاخطاره بان كينيه سيتخلف عن الموعد .

ـ اتعرف رقم التليفون ؟

ـ كلا .. عليك بالدفتر فابحث عن اسم فورية وستجد عشرات بهذا الاسم فتخير من بينها صاحب الاسم الذى يقيم فى ميدان جورجيه فانى اجهل لقبه .

فصاح لوبين قائلا : ماذا ؟

وكان صوته حادا يدل على الانفعال الشديد فحملق فيه ريباى فى دهشة وقال :

ـ ماذا جرى ؟

ـ اقلت ان فوريه فى ميدان جورجيه ؟

ـ نعم .. ولكن ما الذى يدهشك فى هذا ؟

ولم يجب لوبين على هذا السؤال وانما اسرع الى دفتر التليفون واخذ يبحث عن اسم فوريه . وقد وثبت الى ذهنه جملة ذكرتها له مدام شوان حين زارته قبيل مصرعها .. لقد قالت له انها قابلت زوجها فى ميدان جورجيه . فى المنزل رقم ٦ المجاور لمنزل يقيم فيه شابان ظريفين .

وقال لوبين يسأل الكونت :

ـ وهل يقيم فوريه فى هذا المنزل مع صديق له ؟

ـ نعم . وان كنت لا ادرى اسمه .. ولكن كيف عرفت ذلك ..؟

ولم يجب لوبين على هذا السؤال ايضا وانما اخذ يقلب فى الدفتر حتى اهتدى الى اسم فوريه المقصود حين راى ان العنوان المكتوب الى جوار اسمه هو المنزل رقم ٨ تمتم قائلا :

ـ يا الهى لقد انكشف السر !

الفصل السادس

عاد الكونت ريباى يقول فى شىء من الدهشه :

ماذا جرى ؟

فاجابه لوبين وهو غارق فى خواطره :

ـ لا شى .. كل ما هنالك ان الحقائق المشوشة المضطربة فى ذهنى بدات تنضج وتنسق .. انتظر لحظة .

واخذ يذرع الغرفة ذهابا وجيئة وقد استغرق فى التفكير .. وبعد بضع دقائق اخذ يحدث نفسه فى صوت مسموع قائلا : « بدات الحقائق تنسجم . ليس معقولا ان تقتل مدام شوان لانها جاءت تزورنى . هذا دافع ضعيف لايؤبه له .. عيبها انها ثرثارة مولعة بالكلام . كان محتملا ان تتكلم امام الشابين الذين سكنان المنزل المجاور ما دامت تتردد عليهما لتنسيق مسكنهما .. عندما دعت الظروف الى اختفاء شوان او تخبئته لم يكن هناك من يظن ان زوجنه ستتردد على منزل الشابين اللذين يعرفان الشاب الذى انتظر لحظة. نعم .. ان هذين الشابين يعرفان كينيه .. وكينيه لم يقل لنا مطلقا يعرف شوان اذ انه سمع بسمه .. او بعبارة اخرى، ان الفرصة لم تتح له لكى يقول لنا ذلك . فحين هم بيشو بأن يوجه اليه هذا السؤال راى ايروك الوجه الملثم فى النافذة .. فانطلقنا الى الحديقة مسرعين .. يالها من رواية مسرحية بديعة .. ان مخرجها يستحق الاعجاب والتصفيق

فقطب ريباى جبينه وقال :

ـ الى اى شىء ترمى بهذه الاشارات الغامضة ؟ اتريد ان تقول ان كينيه هو القاتل ؟

ـ هو القاتل ..؟ انى لم اقل شيئا من هذا القبيل .

فقال ريباى فى الحاح :

ـ اذن فما هى نظريتك .. تكلم ..

فوضع لوبين يده على كتف الكونت ريباى وقال :

ـ كن مطمئنا .. لا تزعج نفسك .. دعنى اسوى المسالة بطريقتى الخاصة .

ثم انطلق من الغرفة مسرعا واخذ يهبط وهو يركض فالتقى فى طريقه بالسكرتير لويس ايروك فقال له فى دهشة:

ـ مالى اراك منفعلا ؟

ـ لقد خطر لى راى اخر .. الديك ما يشغلك ؟

ـ كلا .

ـ اذن تعالى معى فانى اريد ان اتحدث اليك .

واخذ بذراع ايروك وهبطا الى قاعة الاستقبال فأخرج لوبين سيجارة واشعلها واخذ منها نفسا طويلا وهو يقول :

ـ اين بيشو ؟

ـ لست ادرى .. لقد وصل الكونستابل الذى ارسله المفتش الديه فمن المحتمل انه رافقه ليريه المكان المخصص للحراسة .

وساد الصمت برهة ثم قال لوبين :

ـ لقد تذكرت شيئا قد يسرك ان تسمعه منى .. حقيقة علمية لذيذة .. اذا اخذ الانسان عينه من الدم امكنه

تحليلها ومعرفة النسب المختلفة المكون منها .. فاذا اخـذنا عينة أخرى من دم نفس الشخص وحللناها كانت النسـب واحدة وامكننا ان نجزم بأن العينتين من شخص واحد حتى وان كنا نجهل مصدرهما .. فما رأيك فى هذا .

ـ انها حقيقة علمية طريفة فى الواقـع .

وكان ايروك فى خلال ذلك يملأ للوبين كاسه .. ولـكن يده كانت ترتعد فاريقت الخمر على المنضدة .

ـ اتعلم لماذا اوجه اليك هذا السؤال ؟

ـ كـلا بالطبـع .

فقال لوبين فى كلمـات بطيئـة :

ـ انى أوجه اليك انت بالذات هذا السؤال لأنى أعتقـد اننا اذا حللنا الدم الذى تلوث به منديل كينيه وحللنا عينه من دمك انت لوجدنا انهما من نوع واحد .

ـ ماذا تقصـد ؟

فضحك لوبين وقال :

ـ يا الهى !ان هذا السـ ال يوجه الى باستمرار ! ماذا تقصـد ..! اقصد ان اقول ان الرصاصة التى اطلقت امام باب البيت كانت رصاصة واحدة .. وقـد اصابت رسغك وجرحته .. وهذا المنديل كان فى جيب كينيه الأعلى .. وقد رأيته بنفسى .. وقد زعمت ان الرصاصة التى اصـابتك خدشت رسغك واستقرت فى صدر كينيه .. وهـذا ليس معقولا بأى حال من الأحوال لأن الرصاصة لا يمكن ان تأخذ هذا الاتجاه الا اذا كنت واقفا ويدك مرفوعة فى الهواء فيكون

معقولا ان تخدش الرصاصة يدك وتستقر فى صدر كينيه .. وليس هناك طبعا ما يدعوك الى رفع يدك فى الهواء فالمفروض انك كنت واقفا وذراعك متدلية الى جانبك . وفى هذه الحالة لا يمكن أن تخدش الرصاصة يدك وتستقر فى صدر كينيه الا اذا كان من اطلقها رابضا عند قدميك حتى يمكن ان تتجـه طبعـا مسـتحيل .

وكان ايروك فى خلال بسط لوبين لهـذا الرأى ممتقع الوجه زائغ النظرات فلعق شـفتيه وقال :

ـ انك محق فيما تقول .. لقد استطعت ان تميط اللثام عما حاولت ان أخفى .. لو كنت مجرما لكنت اغبى المجرمين .. نعم .. ان المنديل ملوث بدمى لا بدم كينيه .

ـ وكيف حدث ذلك ؟

ـ لقد هرب كينيه .. وقد استطاع المفتش بيشـو ان يستنتج ذلك . لماذا هرب ؟

فقال ايروك مجيبـا :

ـ لست أدرى .. كل ما هناك انى رأيت سيارة كينيه وهى تنطلق وعثرت على المنديل على الأرض على مقربة من المكان الذى كانت تقف فيه فتناولته ومسحت به رسغى .. والقيته فى موضعه ثانية . وكان غرضى من ذلك أن ألقى فى روعكم ان المنديل ملوث بدماء كينيه حتى تعتقدوا انه جرح واختطف ولم يفر هاربا .. كنت اريد أن استر موقفه .

ـ وما الذى جعلك تعتقد ان موقفه فى حاجة الى ما يستره؟ فراره بهذا الشكل .. وفضلا عن ذلك فقد لاحظت انك

كنت تتفرس فيه اثناء العشاء اذ كان واضحا انه منفعل شديد الاضطراب .. ولست ادرى سببا لاضطرابه .. ولكن من المؤكد ان هذا الاضطراب جعلك تسيء الظن به فخشيت اذا عرف انه هرب ان يقع فى ورطة لا قبل له بالتخلص منها فاردت ان احميه بما فعلت .. والواقع انى كنت دائم العطف عليه ولولا تدخلى فى كثير من الاحيان لحرمه والده من الميراث . — لاى سبب ؟

— لان سلوكه معوج . فهو مولع بالمقامرة ومدمن للخمر .

— نعم . اذا كان صاحيا كان من ارق الناس والطفهم .. فاذا ثمل انقلب كالحيوان الهائج يتشاحن دون سبب ..

— وهل تعتقد انه قد يقدم على جريمة القتل اذ كان سكران ؟

فحملق ايروك فزعا فى لوبين وهتف قائلا ؟

— يا الهى ! انك لا تعتقد هذا طبعا ؟

— انى لا اعتقد شيئا حتى الآن .. كل ما هنالك انى اريد ان اجمع من المعلومات ما يمكننى من تنسيق خواطرى وتكوين الراى النهائى وان امامى لغزين منفصلين وانا احاول الآن ان اهتدى الى الحلقة المفقودة التى تجمع بينهما .

وساد الصمت برهة واخذ لوبين يفكر فيما سمع .

وقطع عليه ايروك حبل تصوراته بقوله :

— امن الضرورى ان تخبر المفتش بيشو بما علمت مادام ليس فى الامر شى جدى ؟ انى اخشى اذا اتصلت المسألة بابيه وعلم ان ابنه هرب — ان يحرمه من الارث .. انه ..

وامسك عن الكلام اذ فتح الباب ودخل المفتش بيشو وهو يقول :

— لقد اوقفت الكونستابل تحت نافذة المخدع وامرته بأن يفتح عينيه ..

وصب ايروك الخمر فى الكؤوس الثلاث وحمل كأسا الى المفتش بيشو فردها هذا شاكرا وهو يقول :

— شكرا . ان الخمر لا تلائم السمان لانها تؤذى اعصابهم

فارجع ايروك الكأس الى المنضدة ورفع كأسه الخاصة الى شفتيه .

وجحظت عيناه فجاة وامتقع وجهه ورد الكأس عن شفتيه فى فزع وصاح بلوبين قائلا :

— بالله عليك لا تشرب كأسك ! ان الخمر مسمومة !

الفصل السابع

هب لوبين واقفا فى فزع واسرع الى ايروك خشية ان يقع صريعا من اثر السم . ولكن السكرتير اراح لوبين وجرى الى النافذة فانحنى فوق سياجها واخذ يتقيأ ما فى جوفه على حين صاح لوبين بالمفتش بيشو :

— اسرع .! استدع الطبيب !

وقال ايروك فى صوته المبحوح :

— اريد مقيئا .. مستردة وماء .

وحمل اليه لوبين مقعدا اجلسه عليه فى رفق على حين

أتاه بيشو بالمقىء المصنوع من المستردة مزجت بالماء فتجرعه ايروك وتقيأ للمرة الثانية وقال :

— انى احسن حالا الآن . لولا المقى لبقى السم فى جوفى ولقتلنى ولاصبحت يا مسيو لوبين امام لغز ثالث .!

ولكن وجه لوبين كان ينم على انه لا يرى فيما حدث شيئا غامضا .

وتكلم لوبين مخاطبا المفتش بيشو :

— عندما خرجت لترشد الكونستابل الى موقفه اغتنم الفرصة فدسوا السم فى زجاجة الخمر .. يالها من جراة! وياله من اخراج مسرحى بديع .!

وصب لوبين شيئا من الخمر فى الكاس وذاقها على طرف لسانه ثم بصقها . وقال المفتش بيشو :

— هذا الحادث يدل على ان الاعداء لا يزالون على مقربة من المكان .

فابتسم لوبين وقال :

— يجب ان ابشرى يا بيشو بانك تصلح بوليسا سريا فى يوم من الأيام .! والآن وداعا فانى خارج الى الحديقة .

— لماذا .؟

— لكى اقبض عليه .. انك يا بيشو لا تصلح للمطاردات الليلية .. اما انا فقدير على ان انقلب جزءا من الظلام والسكون لا يسمعنى ولا يرانى احد .. وانى اعتقد ان هناك ضيفا ليليا ينوى ان يزورنا .

وخرج لوبين الى الحديقة وقصد من فوره الى الكونستابل الواقف تحت نافذة المخدع فعرفه بنفسه وقدم اليه سجارة واخذا يتحدثان عن هذه الحوادث فقال الكونستابل :

— .. ولقد اختطفوا ايضا نجل الكونت . فليت شعرى لماذا فعلوا ذلك ؟

وكان مستحيلا ان يجيبه لوبين على هذا السؤال اذ الجواب معناه ان اللغز قد انحل ولم يعد لغزا .

وقال لوبين يسأل الكونستابل :

— اظنك تعرف الكونت ريباى جيدا ؟

— طبعا .. فانى اتولى العمل فى هذه الناحية منذ خمس سنوات .

— اتظنه من طراز يسهل ابتزاز المال منه ؟

فهز الكونستابل رأسه نفيا وهو يقول :

— لا اظن ذلك .. ان الكونت ريباى معروف بالكرم والسخاء ولكنه لا يرضى ان يكون فريسة لمحتال يبتز منه المال .. بل انى اذكر حادثا من هذا القبيل وقع له اذ حاول احد المحتالين ان يهدده ليبتز منه مالا .

فقال لوبين وقد التمعت عيناه فى الظلام :

— اوقع هذا ؟

— نعم .. لقد اراد المحتال ان يهدده بافشاء حادث غرامى وقع للكونت ريباى فى شبابه وطلب منه ثمنا للسكوت فما كان من الكونت الا ان اخطر المفتش بالأمر ودعاه الى الاختباء

خلف الستار فسمع الحديث الذى جرى بين الكونت والمحتال
ثم برز ا.. وقبض على اللص وقاده الى المخفر . ولكن
الكونت ..ن يقدم شكوى رسمية ضده فلم يحاكم .

— لم يحاكم .؟

— نعم لأن الكونت قال انه لا يجب أن يكون مصدرا للأذى
واكتفى بأن القى درسا على الرجل اخافه وافزعه لكيلا
يعود ثانية الى مثل هذه اللعبة .

— وما اسم هذا المحتال ..؟

لقد ادعى ان اسمه جاك .. وهو ادعاء كاذب طبعا
لانهم جميعا ينتحلون هذا الاسم عندما يقعون فى ايدى
البوليس . ولكن الفرصة لم تتح لنا لمعرفة الحقيقة لأنه
لم يقدم الى المحاكمة .

— اتستطيع ان تصف لى هذا المحتال ؟

— نعم .. ان له وجها نحيفا هزيلا تتوسطه انف ضخمة
ذات أرنبة تبدو دائما حمراء كأنها متورمة .

وانصرف لوبين بعد أن صافح الكونستابل وذهب الى
ضفة النهر فجلس تحت شجرة وهو يفكر فيما سمع وقد
ارهف اذنيه لكل صوت يعكر سكون الليل وصفوه .

اذن فقد وقعت محاوله لابتزاز المال من الكونت ريباى
ان هذا الحادث يؤيد النظرية التى انتهى اليها ، ولم يكن
لديه شك فى ان هذا المحتال انما هو مسيو شوان لأن الوجه
الهزيل الهضيم والانف الحمراء المتورمة من مميزات مسيو
شوان البارزة .

وارسل لوبين بصره الى القصر فراى مخدع الكونت
ريباى مضار وكذلك كاتب قاعة الاستقبال ، كما راى ضوءا
احمر فى نافذة غرفة تقع فى الطابق الأعلى عرف فيها
مخدع السكرتير لويس ليروك .

وذكر عند هذا الخمر المسمومة التى شربها امروك ، لقد
ذاق لوبين الخمر وعرف نوع السم وقد أدهشته ان يكون
شوان الرجل الجاهل الذى بكاه يكون ملما على علم بأن هذه
المادة سامة اذ ان القليلين من الناس هم الذين يعرفون
عنها ذلك .

وانتبه لوبين من خواطره على صوت خفيف ليكاد يسمع .
صوت مجداف يضرب سطح الماء .

وارسل بصره الى النهر فراى قاربا صغيرا ينزلق على
الماء فى خفة وسكون ، واستطاع ان يرى فى القارب شبح
شخص واحد .

وظل لوبين رابضا فى مكانه لا يتحرك حتى اذا راى
القارب يرسو على الشاطىء نهض واقفا واتجه اليه وهو
يتستر بالأشجار ، وكان يمشى فى خفة وحذر كانه فهد
يجتاز الغابة ليلا دون أن يسمع له صوت لكى يثب على
فريسته .

وظل لوبين يقترب من القارب خطوة فخطوة والجالس فيه
لا يشعر بالخطر الداهم الذى يوشك ان ينقض عليه .

وعلى حين فجأة مد لوبين يديه وقبض على عنق الزائر
الليلى واشتد خناقه على العنق الى درجة جعلت المسكين

لا قوى على ان ينطق بكلمة واحدة أو يأتى بحركة واحدة ،
لا يقوى على أن ينطق بكلمة واحداة أو يأتى بحركة واحدة .
يهوى على الأرض .

وضعه لوبين ثانية فى القارب بعد أن نكمه لكمـــة أفقدته الرشـــد .

وأخذ لوبين يجذف حتى ابتعدالقارب عن الشــاطىء فانعطف به الى مكان لا يرى فيه من نوافذ القصر .

وعند ذلك اشعل لوبين عودا من الكبريت ونظـر فى وجه الاســير .

فلم يكن هذا الاسير الا شوان !





مغامرات

أرسين لوبين